جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

شعر أحمد يوسف
في ضوء نظرية الأدب الإسلامي
(دراسة موضوعية فنية)

إعداد

د / مصطفى عبد الصبور محمد محمد خليفة

قسم الأدب والنقد،

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، في قنا

(العدد الثاني والأربعون)

(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)

(الجزء الثالث (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة(ISSN)2536-9083)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٦٢٧١/٢٠٢٣م

شعر أحمد يوسف في ضوء نظرية الأدب الإسلامي

(دراسة موضوعية فنية)

مصطفى عبد الصبور محمد محمد خليفة

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، قنا، مصر.

البريد الإلكتروني:mustafamohamed.4119@azhar.edu.eg

الملخص

هذا البحث يتناول الجانب الإسلامي في نتاج الشاعر الفلسطيني أحمد يوسف (١٩١٢ ـ ١٩٧٤م) ويعمل علي إبراز موضوعاته الشعرية ، ثم خصائصه الفنية المتعددة في الشكل والمضمون ، وقد قام هذا البحث علي مقدمة وتمهيد وفصلدن ثم انتهى إلي خاتمة ضمت أهم النتائج من أبرزها : ١ـ شمولية الأدب الاسلامي وسعة آفاقه، فموضوعاته لا حصر لها وكل ما في الكون والنفس البشرية والحياة صالح لأن يتناوله الأديب المسلم . ٢–الأدب الاسلامي أدب هادف انطلاقا من أن أفعال المسلم وأقواله منزهة عن العبث . ٣ـ كانت قصائد الابتهال والدعاء ، والقصائد التي تبين خُلُق النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترصد سيرته من أهم الموضوعات التي اشتمل عليها شعر الشاعر أحمد يوسف .

الكلمات الافتتاحية: الأدب الإسلامية، نظرية نقدية، موضعات شعرية، خصائص فنية.

Ahmed Youssef's poetry in light of the theory of Islamic literature

(technical objective study)

Mostafa Abdel Sabour Mohamed Mohamed Khalifa
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Qena, Egypt.

Email: ***mustafamohamed.4119@azhar.edu.eg***

Abstract

This research deals with the Islamic side in the production of the Palestinian poet Ahmed Youssef (1912-1974 AD) and works to highlight his poetic themes, then his multiple artistic characteristics in form and content. Islamic literature and its broad horizons, its topics are endless and everything in the universe, the human soul and life is suitable for a Muslim writer to deal with. 2- Islamic literature is purposeful literature based on the fact that the actions and words of a Muslim are free from absurdity. 3 The poems of invocation and supplication, and the poems that show the character of the Holy Prophet - may God bless him and grant him peace - and monitor his biography were among the most important topics that were included in the poetry of the poet Ahmed Youssef.

Keywords: Islamic Literature, Critical Theory, Poetic Positions, Artistic Characteristics.

المقدمة :

الحمد لله ذي القوة والحول ، والعزَّة والطَّوْل ، الهادي إلي الطيب من القول، والصلاة والسلام على النبي المليح ، الأعز الفصيح ، صاحب القول الطيب الصحيح، سيدنا محمد الهادي الأمين ، وعلي آله وصحبه أجمعين،

أما بعد ، ،

فإن الأدب يمثل الحياة ويصورها، ويعرض علي القارئ والسامع صورا تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ، ويعرض عرضا جميلا ومؤثرا لشتى جوانبها وأشكالها ، فتبدو فيه ملامح الكون الحياة وأشكالها المتنوعة ، وعندما يفوتنا النظر إلى الحياة مباشرة ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب . والأدب الإسلامي الرفيع ، الذي يرتفع عن لهو الحديث ، ويتسامى عن فاحش القول ، بل يجمع بين سمو الهدف ، وروعة الفن ، فينطلق داعيا إلي مكرمة ،أو معالجا لقضية ، أو ملتمسا لعظة أو عبرة[1].

وقد أخرجت الأزمات التي أحاطت بالأمة الإسلامية في الفترة الأخيرة جيلا من الشعراء جعلوا من نتاجهم الشعري منبرا ينادون من خلاله بإصلاح ما فات، وتدارك ما بقي، واصطبغ شعرهم بالصبغة الإسلامية الخالصة، ومن هؤلاء الشاعر (أحمد يوسف)الذي جاء شعره أنموذجا للأدب الإسلامي الخالص، ويعد شعره تمثيلا صادقا لهذا الأدب الإسلامي المشتمل علي موضوعات تتسم بالتنوعُ والأهمية ، المتضمن لخصائص الفن المتميز ، فجمع بذلك بين نُبْل المضمون ، وروعة الشَّكل ؛ لذا كان

---

[1]) ينظر : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م . ص ١٧ ، وديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، ٢٠٠٨م ، ص ٧٣٣ .

القصد إلي دراسة شعر أحمد يوسف في ضوء نظرية الأدب الاسلامي في هذا البحث الموجز .

وقد جاء البحث بعد هذه **المقدمة في تمهيد** ، وفصلين، و **خاتمة** علي النحو التالي :

التمهيد وفيه محوران :

المحور الأول : ويتناول التعريف بالشاعر أحمد يوسف وديوانه.

المحور الثاني : نظرية الأدب الإسلامي(إطلالة عامة) .

الفصل الأول : الاتجاهات الموضوعية ، وهو يعالج أهم الموضوعات الإسلامية التي اشتمل عليه شعر الشاعر .

القصل الثاني :

الدراسات الفنية ، وهو يناقش أهم السمات والخصائص الفنية في شعر الشاعر .

الخاتمة

وتشتمل على خلاصة البحث وأهم نتائجه .

والله تعالي ولي التوفيق .

د / مصطفى عبد الصبور محمد محمد خليفة

مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا

التمهيد :

أحمد يوسف ونظرية الأدب الإسلامي

أولا : الشاعر (أحمد يوسف) وديوانه (تعريف موجز).

ولد أحمد يوسف في قرية الطيبة القريبة من طولكرم /فلسطين في الخامس من تشرين الثاني في عام ١٩١٢م ، في عائلة تنتمي جذورها إلي الصحابي الجليل المقداد بن الأسود ، لذلك نسبت بعض هذه العائلة فقط إليه وتسمت بالمقدادي ، إلا أن أحمد يوسف بقي معروفا باسمه الثنائي هذا حتَّي وفاته .

تلقى الشاعر تعليمه الابتدائي في مدرسة الطيبة الابتدائية ، وبعدها التحق بالمدرسة الثانوية في طولكرم حتَّي عام ١٩٢٨م، حين سافر إلي مصر ليتم دراسته الثانوية هناك . بعد ذلك التحق بالجامع الأزهر نزولا عند رغبة والده ، ثم تحول دون أن ينقطع إلى كلية دار العلوم العليا في القاهرة ، حصل علي الشهادة الأزهرية وشهادة دار العلوم عام ١٩٣٦م. [١]

حياته العملية :-

بعد تخرجه من دار العلوم ، رجع أحمد يوسف إلى فلسطين ، حيث كان يتوقع حياة عملية ناجحة وعيشة رغدة هانئة . إلا أنَّ الرياح جرت بما لا تشتهي نفس شاعرنا ، إذ لم يجد الطريق إلى أهدافه ممهدا ، ولم يلق من المسئولين هناك وجها بشوشا فانهارت آماله وأحبطت همته ، ثم قصد الشاعر بعد ذلك العراق ؛ لينال من

---

[١]) ينظر: ديوان الشاعر أحمد يوسف جمع وتحقيق د. مي أحمد يوسف ، عمان ١٩٩٣م ، ط أولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م،ص٩

وراء ذلك رزقا أو مغنما . فقضى عامين يقوم بمهمة التدريس في المدارس الثانوية هناك [١] .

وبعد رجوعه من العراق أسس مدرسة الثقافة الثانوية ١٩٤٢م . وفي عام ١٩٤٣م اشتغل شاعرنا في معارف فلسطين أستاذا للغة العربية في المدرسة العامرية . ثم تنقل إلى العديد من المدارس الثانوية في فلسطين أستاذا للغة العربية ومديرا للتربية والتعليم لمحافظة الخليل ثم مديرا للتربية والتعليم للواء رام الله عام ١٩٢٧م حيث أحيل للتقاعد[٢].

شاعريته:-

بدأت بوادر شاعرية أحمد يوسف منذ نعومة أظفاره عندما كان بعد تلميذا في المدرسة الثانوية في طولكرم . وهناك حكايات تُروى عن شاعرية أحمد يوسف وعن حسه المرهف .فقد رَوَى أحد المعارف الحكاية التالية عنه :

عندما كان أحمد يوسف – رحمه الله– يدرس في دار العلوم العليا بالقاهرة ، زارها – أي دار العلوم– وزير المعارف المصرية ، فوقف أحمد يوسف مرحبا ، ومما قال :

يا وزير العلا وفخر البلاد * نحن زهر الربا و أنت الغمام

فقال له وزير المعارف : قف يا هذا ، لم قلت نحن زهر الربا ولم تقل : نحن نبت الربا ؟ فأجاب أحمد : لأن النبت يجمع بين الزهر والحنظل ، أما الزهر فهو خلاصة الطلح ، وكذلك طلبة دار العلوم فهم خلاصة الطلبة [٣].

---

[١] ينظر : ديوان أحمد يوسف، ص ١٠ .

[٢] ينظر : المصدر السابق، ص ١٠ .

[٣] ينظر : معجم المؤلفين المعاصرين من آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع فيها أو حقق بعد وفاتهم محمد خير رمضان يوسف ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م ، ج ١ / ص٩٢ وينظر: ديوان أحمد يوسف ص ١٣ .

وما دمنا في معرض الحديث عن أحمد يوسف وشاعريته، فلا بد من وضع شعره في مراحل زمنية ثلاث ، تعين الدارس على تتبع هذا الشعر وتطوره عبر هذه المراحل :

أ. المرحلة الأولى :

وهي تلك التي تمتد بين عامي ١٩٣١ م و ١٩٤٨ م . لقد كانت موضوعات شعر أحمد يوسف في هذه المرحلة نابعة من وقع الأحداث ، متنوعة تبعا لتنوعها . ومن يطلع على قصائد أحمد يوسف في هذه الفترة ، يلمح فيها جوانب تاريخية من كفاح عرب فلسطين ضد الانتداب ، وما خلفه هذا الحكم المتعسف من قتل وتخريب وتشريد حتى قبل النكبة . وهذه الإشارات التاريخية لم تقتصر فحسب على القصائد ذات الصبغة الوطنية في غالبية أبياتها ، بل وردت كذلك في قصائد قيلت في موضوعات دينية واجتماعية وثقافية . مثال على ذلك ، قصيدة له بعنوان: " تحية عام الميلاد "كتبها عام ١٩٤٥ م.[١]

لقد غلب على شعره في هذه المرحلة . كغيره من شعراء الحقبة – الشعر الوجداني، الذي تمثل في الشكوى والحنين والنزعات الحزينة والغزل ومثال علي هذا من شعره قصيدة له بعنوان: " نجوى شاعر يحتضر " أنشأها عام ١٩٣٥م [٢].

ب. المرحلة الثانية :-

و هي تلك التي تمتد بين عامي ١٩٤٩ م ، ١٩٦٧ م. وشعر أحمد يوسف في هذه المرحلة شعر النكبة أو المأساة. فما أن حلت نكبة فلسطين حتي فجرت في نفسه الغضب والحقد والحزن والألم ؛ لذا كانت موضوعات قصائده بعد عام النكبة مستوحاة

---

[١]) ينظر: ديوان أحمد يوسف ، ص ١٣ ، ١٤ .

[٢]) ينظر: ديوان أحمد يوسف، ص ١٥ .

من مأساة بلاده وأحداثها وفواجعها . فقد كتب لمن عصفت به ريح النوى ، و في الحنين إلى الأوطان ، وفي رثائها .

ولم يقتصر شعره في هذه المرحلة على الشعر الوطني لكنه كتب في موضوعات أخرى دينية واجتماعية وثقافية ، بالإضافة إلى موضوع الغزل[١] .

المرحلـة الثالثـة :

وهي تلك التي تمتد بين عامي ١٩٦٧م ، ١٩٧٣م (أي العام الذي كتب فيه آخر نصّ له قبل وفاته) فما أن حلت نكبة أخرى ببلده (فلسطين) وبأهله الذين قاسوا مرارة الهجرة والغربة ، حتى نراه يضج بالغضب والسخط ، وما يلبث أن يركن للحزن العميق الذي ترددت أصداؤه في جنبات قلبة زفرات شعرية زاخرة بالألم والأسى .

كما نري في قصيدة له بعنوان : " وقفت بالجسر " ، التي كتبها بتاريخ ١٩٦٨/٧/٥م يقول فيها:-

وقفت بالجسر أستجدي الدخول * داري وأهلي وإخواني وخلاني
ورحت أسال أين الدّرب واحزني * إلى لقائهم في منزلي الثّاني
شاهدت يا بؤس ما شاهدت من * أضناهم البعد تحنانا لعّمان [٢]

ثانيا : الديوان :

يعد ديوان الشاعر أحمد يوسف هو الديوان الوحيد للشاعر ، والذي قام بجمعه وتحقيقه ابنته الدكتورة / مي أحمد يوسف ، وهي النسخة التي اعتمد عليها البحث ، وكأن الشاعر أحمد يوسف قد اكتفى بما نشر له في الصحف والمجلات من جمع شعره في ديوان ، يضاف إلي ذلك استغراقه الكامل في العمل متنقلا أولا بين فلسطين والعراق ،

---

[١]) ينظر : ديوان أحمد يوسف، ص ١٨ .

[٢]) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩ .

ومن ثَمَّ بين مدن الضفتين بيد أن هذا الأمل ظل يداعب خياله حتى وفاته ، وقد شرع بذلك فعلا بعد إحالته إلي التقاعد ولكن ما أن بدأ بالخطوة الأولى علي درب تحقيق هذا الأمل حتي عاجلته المنية .

ويقع الديوان في اثنتين وسبعين ومائتي صفحة من القطع المتوسط ويضم أكثر من مائة قصيدة ومقطوعة ينتمي أكثرها إلى الاتجاه الإسلامي .

ثانيا : نظرية الأدب الإسلامي (إطلالة عامة) .

الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يستقي موضوعاته من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية، وما من شك أن لهذا المنهج أثره الواسع في الأدب ، صياغة ، وموضوعا، وشكلا ، وأسلوبا [١].

والأدب الإسلامي يعني – في حقيقته – التجربة الشعورية التي تنبع من الوجدان والخواطر المفعمة بالقيم الإسلامية في بناء غني يعتمد على وسائل التأثير والاقتناع : من الألفاظ الفصيحة ، والأسلوب البليغ ، والنظم الدقيق والتصوير المحكم بالخيال والعقل معا ، والاتساق في الإيقاع المتدفق بأشكاله المتعددة [٢].

والأدب الإسلامي يعتمد على الفائدة الخلقية إلي جانب التعبير " فالأدب الإسلامي لا يكتفي بجمال التعبير ، وإبداع التصوير ،وإنما يشترط فيه أن يكون ممتعا نافعا في الوقت ذاته[٣].

---

[١] ينظر : ديوان يا إلهي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، د/ حسن أبو المجد محمد حسن ، حولية كلية اللغة العربية ، بجرجا العدد العاشر ، ص ١٦٤ .

[٢] الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، د علي علي صبح ، دار الجبل الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ص ١١ .

[٣] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د / عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٥م ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٠ .

وللأدب الإسلامي معالمه التي تحدده وتوضح ملامحه ، ومن هذه الملامح :

١- التجربة الشعرية إزاء موقف إنساني معين .

٢- الخواطر والأفكار التي تمتد جذورها إلي شريعة الإسلام .

٣- العاطفة الصادقة التي تعبر عن إخلاص الأديب وصدقه .

٤- اللفظ الصحيح المجرد من الخطأ واللحن والسوقية .

٥- الوجدان المفعم بالقيم الإسلامية الثري بخُلُق القرآن والسنة .

٦- الأسلوب البليغ والنظم الدقيق ، الذي يتخذ القرآن مثله الأعلى.

٧- التصوير الأدبي المحكم بالخيال والعقل معا .

٨- الايقاع والموسيقا ، وهذا يختلف حسب اختلاف الفنون الأدبية وهو في الشعر ينصرف إلي الوزن العمودي من البحور العروضية والقافية [١].

والأدب الإسلامي ينقسم بصلته إلي الحياة إلي قسمين قسم يؤدي دور نشر الوعي الإسلامي وتبليغ الدعوة والفكر الإسلامي ، ويشتمل علي الابتهالات والدعوات ، وقسم آخر يتصل بالحياة الإسلامية العامة ، ويخدم جانبا من جوانبها ، هذا القسم الثاني يحمل حينا شعارا إسلاميا واضحا، وقد يخلو من شعار واضح منه ، ولكنه يخضع للإسلام بالتزامه بالإطار المسموح للأدب الإسلامي[٢] .

ولنظرية الأدب الإسلامي – بهذا التحديد – وبتلك الملامح – تميزها وتفردها ، ولها كذلك جمالياتها الخاصة التي قد تلتقي في جوانب منها مع التجارب الأدبية في المذاهب الأخرى ، ولكنها – من غير ذلك – ذات خصوصية معينة تجعلها في صورتها العامة المتفردة في مضمونها ورؤيتها[٣] .

---

[١] ينظر : الأدب الاسلامي المفهوم ، د / علي صبح ، ص ١١.

[٢] ينظر الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ص٢٧.

[٣] ينظر : ديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، ص٣٣٧.

الفصل الأول

الاتجاهات الموضوعيــة

يضم الديوان عددا من الموضوعات ، التي تنتمي إلى حديقة الشعر الإسلامي ، ويمكن تقسيم قصائده في ضوء نظرية الأدب الإسلامي إلي عدد من الاتجاهات الموضوعية ، أتحدث – بعون الله تعالى – عن كل اتجاه منها في بحث مستقل من مباحث هذا الفصل[١] .

المبحث الأول

المناجاة والدعاء والشكوى

من كمال إيمان المسلم توجهه لربه بالدعاء ، طالبا منه الرحمة والهداية والنجاة ، وهذا دليل على رسوخ العقيدة ، وعقيدة المسلم تحتم عليه التوجه لربه بالدعاء ، وهو موقن بالإجابة لقوله . تعالى . : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"[٢]

وقد امتلأ ديوان الشاعر أحمد يوسف بالأدعية والابتهالات ومن ذلك قصيدة (مناجاة) ويقف فيها الشاعر متضرعا إلى الله . سبحانه وتعالى . مسلما بالقضاء ، راضيا به ، يقول الشاعر :

---

[١] ناجاه ونجاء : سأَرهُ ، وانتجاه : خصه بمناجاته، ، وقصد علي نجوه ، ينظر القاموس المحيط ،للفيروز آبادي مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ، لبنان ، ص١٤٢٦٨هـ ، ص١٣٣.

[٢] سورة البقرة من الآية ١٨٦ ، وينظر الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محمد صديق دراسة وصفية تحليلية ، محفوظ في الجامعة الإسلامية بغزة ، ص٥١.

رب أسلمت إليك الأمر فافعل ما تشاء

لن أرى أجزعُ في دنياي من حكم القضاء

إذا وهبت العمر لي فالفضل يا نعم العطاء

أو إذا حُمّ القضاء الحق في الدين سواء

أنت لي يا رب في دنياي نور ورجاء

أنت لي في مهمه العمر مدى ظل وماء

أملي أنت ولن ألقى بدنياي عناء

أنت يا مفردُ يا خير نصير الضعفاء

نجني يا خير مَنْ لبَّي لمكروب نداء

غيرك الأرباب يا مولاي زيف ورياء [1]

إنها مناجاة تصدر من قلب ممتلئ بالإيمان ، زاخر بعاطفة الخوف والرجاء ، كما أنها تضرع حقيقي ، متدفق من قلب طاهر [2].

فالشاعر يقف في هذا المحراب الإلهي متضرعا إلي ربه ، يسبح بحمده ، ويقدس له ، فهو . سبحانه . المعين والنصير، هو الباقي الواحد الأحد ، يقول الشاعر :-

غيرك الأرباب يا مولاي زيف ورياء

لا ولن يبقى لغير الله في الكون بقاء[3]

---

[1]) ديوان أحمد يوسف، ص٣٥

[2]) ينظر " ديوان يا إلهي للشاعر محمد التهامي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي دراسة موضوعية فنية ، حولية كلية اللغة العربية العدد العاشر ، ص١٨١.

[3]) ديوان أحمد يوسف، ص ٣٥.

ولا يخفى تأثر الشاعر بالأساليب والمضامين القرآنية ، بل هي خاصية واضحة في هذه القصيدة وعلى هذا النحو يمضي الشاعر في ابتهالاته وضراعاته :

يقول :-

أنـــا أدعـــوك وأنـــت المرتجـــى فاقبـــل دعـــاء

أنـــا لا أخشـــى عـــوادي الـــدهر صـــبحا ومســـاء

كيـــف أخشـــاها ونـــور الله فـــي دربـــي ضـــياء ؟

أنـــت حســـبي فـــي مـــدى العمـــر إذا المكـــروه جـــاء [1]

وفي إطار هذا المحور تأتي قصيدة "شكر" وفيها يتوجه الشاعر إلي ربه . سبحانه وتعالى . بالشكر بعد أن شفاه من مرضه ، فهو . عز وجل . الحليم والكريم والعليم بحاله وبحال أطفاله ، يقول الشاعر :

شـــكرتك يـــا رب هـــذا الوجـــود * فأنـــت أحـــق بـــأن تشـــكرا

وهبـــت لـــي العمـــر بعـــد أن * بـــدا طيـــر عمـــري أن ينفـــرا

فأنـــت الكـــريم وأنـــت الحلـــيم * وأنـــت العلـــم بمـــا قـــد جـــرى

رحمـــت حنانيـــك لـــي صـــبية * مـــن اليـــتم أن يرجعـــوا القهقـــرى [2]

وفي هذه القصيدة تتجلي مقدرة الشاعر اللغوية التي مكنته من اختيار الكلمات المعبرة عن حالة الشكر والتذلل والخضوع بين يدي الله سبحانه وتعالى .

ولتتأمل هذه المفردات التي حشدها في أبياته (شكرتك – تشكرا – وهبت – عبدتك – تغفرا) .

إنها كلمات تحمل شحنة من العواطف . وقد وظفها الشاعر ؛ لتنقل هذا الإحساس إحساس الشكر والتذلل والخضوع بين يدي المولى سبحانه وتعالى .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص٣٥.

[2]) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

المبحث الثاني :

استحضار المناسبات الدينية

استحضر الشاعر أحمد يوسف في شعره المناسبات الدينية ، وأعلن من خلالها ارتباطه بدينه ، والتزامه بقيمه الإسلامية ، وقد نظم الشاعر في العديد من المناسبات الدينية ، ومن ذلك قصيدة للشاعر بعنوان: " ليلة القدر " يقول فيها :

ليلـــة القـــدر أيـــن منـــك الأمـــاني * وارفـــات علـــي شـــباب الزمـــان

يـــرقص الكـــون مـــن جلالـــك نشـــوا * ن ويهفـــو مســـتمتعا فـــي أمـــان

أشـــرقت شمســـك الغـــداة وغنـــت * فـــي ريـــاض الســـرور حـــور الجنـــان

فيـــك يـــا ليلـــة الهنـــاءة والبشـــر * حيـــــاة لكـــــل حـــــر وعـــــان

قـــد ســـما باســـمك الوجـــود وضـــلّت * عنـــد ســـر الوجـــود بكـــر المعـــاني [1]

فالشاعر هنا يصف ليلة القدر ويمجدها ويعظمها ، ولم لا وهي ليلة قدرها جليل وليس لها مثيل ؟ فالكون كله يرقص من جلالها نشوان ، والشمس مشرقة تغني في رياض السرور حور الجنان .

وإذا تأملنا المقطوعة السابقة وجدنا أن الشاعر كثَّف من الكلمات التي تعبر عن حالته الشعورية والنفسية ، ومنها علي سبيل المثال ـ لا الحصر ـ (يرقص الكون – أشرقت شمسك – سما باسمك الوجود) .

وقد وفق الشاعر في توظيفها لتنقل هذا الإحساس وفي موضع آخر يقول : –

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٩٣ .

فيك السعادة بالقرآن قد نزلت * آي الهدى فتوارى كل بيان

وراح يغمر هذا الكون قاطبة * نور الهداية من طه وعمران

يا ليلة القدر كم أحييت من أمل * لكل حب مُعَنَّى القلب ولهان

وكم تراءت لنا نعماك عن كثب * يرنو لها كل مكدود وحيران

يرجو السعادة من تخفين طالعة * فأنت والخير عند الله صنوان [1]

لقد استطاع الشاعر أحد يوسف إظهار جمال المناسبة الكريمة والليلة المباركة ، لقد عبر الشاعر عن الفضائل الخاصة بليلة القدر ، فهي ليلة الخير والغفران .

وفي إطار المحور الثاني تأتي قصيدة (تحية الشعر لشهر رمضان المبارك) وفيها ترحيب واستقبال لشهر رمضان ، والتغني بمكارمه وفضائله ، واحتفاء المسلمين بقدومه وكذلك احتفاء السماء .

يقول الشاعر : –

شهر أطل على الدنيا فأرجها * بعبق تقواه واهتزت له السُّرُرُ

شهر تراءت به الآمال وهي رؤى * رّفافة تتهاوى دونها الفكر

شهر التُّقى والليالي الغر ما برحت * تختال فيه المنى العجلى وتزدهر

يحدو بموكبه السامي على عجل * وحي من الله لا وانٍ ولا ضجر

نور من النور يسري وهو مؤتلق * وأين منه الشموس الغر والقمر [2]

فالشاعر أحمد يوسف يحتفي بشهر رمضان المعظم ، والذي فاضت أنواره حكمة ونصحا وتهللا وفرحا في شعره .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٢٠١.

[2]) المصدر السابق ، ص ١٢١.

فالشاعر يرى رمضان وردا ينثر عبيره الطيب علي الدنيا كلها ، وهو المصباح الذي أضاء الظلام، وهو شهر التقى والليالي الكرام .

وفي موضع آخر يفيض الشاعر روحانية وألقا ، ويتجلى الشهر الكريم في روحه نورا يحيل الظلام ضياء ، يقول الشاعر : –

شهر الصيام خلاك الذم إنّ بنا * شوقا إليك له في مجدنا أثر

أتيت تحمل ذكرى أمّة غبرت * دهرا على الشرك لا تبقى ولا تذر

عاداتهم في الورى شَتَّى ، ودينهم * زيغ ومالهم عن ذاك مزدهر

والناس في غمرة دهياء مظلمة * من الجهالة فيها الجور والخور

فأنزل الله في شهر الصيام لهم * دينا فعزت به بين الوري مضر[1]

وفي ذكرى الهجرة النبوية يقول الشاعر : –

تلفت الدهر يستوفيك والأبد * يا عام إنك في دنيا الورى أحد

لا زال عهدك منهلَّ الحيا غَدِقا * ولا علت في ذرا العليا عليك يد

أهلَّ طالعك الميمون مؤتلقا * فكل ذكراك من وحي الهوى جُدُد

تاهت بمقدمك الأزمان معجبة * وقد تقادم من فوضى النّهي

وراحت الأعصر الأولى محدّثة * عن فيض وحيك لا يخبو له مَدَدُ

تتيه في غير ما عجب ولا صلف * وقد تبدد عن ديجورها الفَنَدُ[2]

وترقص الحور نشوى راح يغمرها * فيض من النّور في البيداء يتّقد

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٢٢ .

[2]) ديجور : شدة الظلمة ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/أحمد مختار عبدالمجيد عمر ،عالم الكتب ،ط أولى ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م ، ٣٤/١ .

علـى رفيـق الأمـاني البـيض قـد * طيـر الأراك ، كـلّ فـي الهـوى غـرد

وغـرّدت تمـلأ الـدّنيا قياثرهـا * يهتـزّ نشـوان منهـا : الكهـل والولـد[1]

في الأبيات التسعة السابقة نلمس الحس الوجداني واضحا جليا لدى الشاعر ، وهو يسرد بعض مراحل هذه الهجرة المباركة الخالدة ، ويجعلنا نتعاطف مع أحداثها ، إذ لم يقف في حدود سردها ، بل تعداها إلى إبداء الحماسة للمشاهد والمواقف والمرامي التي ترمي إليها هذه الهجرة المباركة [2] .

ولم يغفل الشاعر عن استخلاص العبر المستفادة منها ، يقول الشاعر :-

يـا عـام كـم فيـك للماضـيين مـن عبـر * وفيـك حينـا لمـن ضـلّ الهـدى رشـد

نسـتوكف الخيـر عـن غيـب السّـنين ومـا * فيها لأنفسـنا الحيـرى لها أود

يؤرّخـون بـك الماضـي السـحيق وكـم * بـين السـنين الخـوالي يفقـد العـدد

ألّفـت بـين قلـوب بـات يغمرهـا * زيـغ وأهـواؤهم بـين الـورى بـدر[3]

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٧٠ .

[2]) ينظر : دراسات عن الشعر العماني ، محمد سيد قاسم ناصر بو حجام ، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ، ٢٠٢١ م ، ص٦٨ .

[3]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٧١ .

المبحث الثالث :- المديـح النبـوي

المديح النبوي : هو الشعر الذى ينصب على مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتعداد صفاته الخَلقية والخُلقية ، وإظهار الشوق لرؤيته ، وزيارة الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ذكر معجزاته ، ونظم سيرته شعرا ، والإشادة بغزواته ، وصفاته المثلى ، والصلاة عليه تعظيما وتقديرا [١] وهو لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع [٢] والمديح النبوي– أصدق الأغراض الشعرية في الأدب العربي ، وهو لون من ألوان التعبير عن العواطف الوجدانية الصادقة ، وباب من أبواب الأدب العاطفي الصادق الذى يسمو عن المادة[٣].

وقد تباينت آراء الدراسين حول بداية ظهور المديح النبوي ، فقد ذهب بعضهم إلى أن فن المدائح النبوية نشأ في رحاب الدعوة الإسلامية ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينشر الدين ويجاهد في نشره ، وعند هؤلاء أن القصائد التي أنشأها حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة من مواجهة الكفار والمشركين ، في الدفاع عن الإسلام وصاحب الرسالة علية الصلاة والسلام ، تعد في صميم هذا الفن.

وذهب باحثون آخرون إلى أن مديح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فن مستحدث في القرن السابع الهجري على يد شعراء مصريين في طليعتهم البوصيري وابن دقيق العيد [٤] .

---

[١] ينظر : المدائح النبوية من شعر ابن مليك الحموي ، دراسة استقرائية تحليلية ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، ص ٢٣٦٢ .

[٢] ينظر : المعجم المفصَّل في الأدب ، إعداد الدكتور / محمد التونجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ٧٧٦/١.

[٣] ينظر : الاتجاه الإسلامي في الشعر محمد بن سعد الدبل ، مخطوط في جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨ م ، ص ٢٢ .

[٤] ينظر : الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، عباس الجراري ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ط الثانية ، ص ١٤١.

وقد شارك الشاعر أحمد يوسف في هذه المدائح النبوية بخمسة أعمال في ديوانه ، وهى تعد في الذروة من آثاره الشعرية من حيث الأسلوب والمعنى والعاطفة والخيال والتصوير ، وهذه الأعمال هي : في ذكرى المولد النبوي الشريف (د/ص ٦١) ومن وحي مولد رسول العرب والإسلام (د/ص٦٥) وشدا يوم المصطفى (د/ص١٠٢) وفي ذكرى المولد النبوي (د/ص١١٨) ثم نشيد المولد النبوي (د/ص٢٣١) ، ويمكن تقسيم هذه الأعمال الشعرية إلى قسمين هما :

أ- القصائد / وهى التي تتسم بالطول والعمق في تناول شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحداث السيرة والأخلاق والمبادئ الخاصة به ، كما تلتزم بالبحور الأصيلة التامة والقافية الموحدة وتتمثل هذه القصائد في الآتي :"في ذكرى المولد النبوي الشريف ، ومن وحى مولد رسول العرب والإسلام ، وشدا يوم المصطفى ، وفي ذكرى المولد النبوي الشريف .

ب-الأناشيد : وهى قصائد شعرية قصيرة ، صاغها الشاعر على بعض الأوزان المناسبة من التراث لكن يترنم بها الأطفال أو المنشدون في هذه الذكرى العظيمة ، ويمثلها " نشيد المولد النبوي".

ومن أعظم القصائد الشعرية التي صاغها الشاعر بمناسبة المولد النبوي الشريف والتي كتبها عام ١٩٥٠م قصيدة " في ذكرى المولد النبوي الشريف " وهى تقترب من الثلاثين بيتا من الشعر الأصيل ، وتقوم القصيدة على عدة أفكار وعناصر أساسية هي :

- مقدمة في وصف ميلاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
- وصف الحياة العربية والإنسانية عند الميلاد .
- مبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأثر ذلك في الحياة كلها.

يقول الشاعر :

ساجعات[1]الخلود من كل طائر * رجعى من علاك لحن البشائر

واهتفى بالمنى ترفّ على الدنيا * وتصفو على الربوع النواضر

وكان البشير جذلان[2] شاد * صادح من بلابل الخلد طائر

راح يشدو والكون مدلّفه النو * ر بعطفيه فهو زاه وزاهر

وبدت كعبة الخليل عليها * أرج [3]الوحي لا عبير المجامر[4]

وتنادى من في السماء وقالوا * يوم طه يا حور أين القياثر؟ [5]

ولد الحق يوم مولده السا * مي وأضحت ذكراه في كل سامر

فاهزجي واملئي الورى بنشيد * البشر ويهفو لجرسة كل شاعر(٦)

فالشاعر يصف يوم ميلاد الرسول . صلى الله عليه وسلم . الذى عمت الكون بهجته من نوره الفضاء ، ويحي ليلة ميلاده التي استحالت على الأفاق ليلة مضيئة بوجه مشرق مزدان بالأضواء والأنوار ، وقد جلبت السرور والبشر ، فالشاعر يطلب من الطيور أن تردد النبأ السار وهو مولد الرسول المختار ، ففي يوم مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ راح الكون يشدو وقد أحاطه النور فهو متألق مشرق الألوان . وقد تزينت الكعبة بالريح الطيب فرحة بميلاد رسول الإسلام.

---

[1]) سجع يسجع سجعا وتسجيعا : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، ينظر لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط الثالثة ١٤١٤ هـ، ١٥٠/٨.

[2]) جذلان : فرح جذل جذلا فهو فرح ، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة ، ١١٣/١.

[3]) أرج : الأرج نفحة الطيب ، لسان العرب ، ٢٠٧/٢.

[4]) المجامر :- جمع مجمر وهو الذى يوضع فيه النار والبخور، لسان العرب ، ١٤٥/٤

[5]) قيثار: آلة طرب ذات ستة أوتار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/أحمد مختار، عالم الكتب ، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨ م ،١٨٨٢/٣ .

[6]) ديوان أحمد يوسف / ص١١٨ .

وفي العنصر الثاني قدم الشاعر أحمد يوسف صورة واضحة عن الحياة العربية عند مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

رفـدت فـي البطـاح مكـة ثملـي * بـين طيـف الـرؤى وأحـلام عـابر

لفهـا الليـل بـين بـردين كانـا * مـن سـكون وسـابريّ الـدياجر

والخيـال الخصـب المطيـف بغـار * النـور أعيـا مـداه نفـح الهـواجر[1]

فالحياة قبل مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ مليئة بكل مظاهر الأسى والهول ، وذلك من شيوع الظلم والشرك والجهل وتسلط المتجبرين وضياع الحقوق وانتشار الضلال ، ولذلك كله كانت في انتظار قائد عظيم يصلح أمرها ، ويردها إلى صوابها ، ويضئ لها الطريق ، إنه الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ذلك القائد العظيم الذى أرسله ربه نورا وهداية للعالمين ، وقد بين الشاعر ذلك في العنصر الثالث الخاص بمبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

وإذا النـور مـن عـل يمـلأ الكـون * ويصـفو علـى الرّبـا والحواضـر

وبطـاح[2] الحجـاز زفـت عليهـا * مـا رأت فـي السماء حـور الجـآذر [3]

والـورى مشـرق تـرف عليـه * نفحـات الهـدى وطيـب السـرائر

والمغـاوير [4] مـن بنـى الشـرك * كلهـم مـن أسـاه أسـيان سـاهر

يـا رسـول الهـدى إليـك تناهـت * بارقـات المنـى وحسـن المصـائر[5]

---

[1]) ديوان أحمد يوسف / ص١١٩ .

[2]) الأبطح : سيل واسع فيه دقاق الحصى ، وأبطح مكة مسيل واديها ، لسان العرب م /٤١٣.

[3]) جآذر : الجؤذر ولد البقرة ، أو البقرة الوحشية ، لسان العرب ١٢٤/٤ .

[4]) المغاوير : مغوار كثير الغارات على أعدائه، لسان العرب ٣٦/٥ .

[5]) أسيان صفه مشبهة تدل على الثبوت من أسى ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٩٧/١.

ومن الأناشيد التي وردت في ديوانه في موضوع المديح النبوي " نشيد المولد النبوي " وقد أقامه الشاعر علي وزن "الرمل" وهو يقع في ثمانية عشر بيتا على النحو التالي :

عمت البشرى ديار العرب * والأمل

ورنا الكون لها يوم النبي * البطل

أشرق النور على ركن الحرم * وانجلت عن آية الحق الظلم

وتوارى الشرك في بيدائه * وبدا الإسلام كالطود الأشم

يا رسول الورى * أنت رمز الإخاء

يا بن أم القرى * أنت وحى الإباء

ولد الهدى فحّيته الأماني * والهمم

وشدا الكون له حلو الأغاني * والنعم

هللت نشوى منى والمروتان * حقق التاريخ أحلام الزمان

واكتست مكّة من لألائه * درر البشرى عقودا من جمان

زمزم والخطيم * في ديار الرسول

رمز مجد مقيم * ذكره لا يزول

يا رسول الله أنت المرتجى * للهدى

كل من أرشدت للحق نجا * واهتدى

جئت والقرآن مجدين لنا * تحملان الدّين رفّاف المنى

وأراد الله من عليائه * لنبي الإسلام عزا وسنا

عبيدك الأوحد * يا رفيع النّسب

فـــــي الـــــورى مفـــــرد * يـــــا نبـــــي العـــــرب [1]

يمكن للقارئ المدقق في هذا النشيد الديني أن يقسمه إلى قسمين هما :

القسم الاول: ويتضمن أبيات النشيد حتى منتصفه ، وفيها يتناول الشاعر فرحة يوم مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأثر ذلك في الكون بكل مظاهره ، فقد عمت البشرى ديار العرب ، وأشرق النور على ركن الحرم ، وتكشفت عن آية الحق الظُلم ، وهللت منى والمروتان ، وتألقت مكة من لألائه عقودا من جمان ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الورى ، هو ابن أم القرى ورمز الإخاء.

والقسم الثاني ويتضمن الأبيات المتبقية في النص ، وفيها يناجي الشاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، مناديا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببعض صفاته مثل "يا رفيع النسب و يا نبي العرب ، ورجاء المؤمنين ، ونجاة الخائفين".

---

[1]) ديوان أحمد يوسف الديوان / ص٢٣٠.

المبحث الرابع :

همـوم أمتنا في هذا العصر .

وينطلق الشاعر في هذا المحور ؛ لينقل لنا صورا من مآسٍ تتعرض لها بلاد إسلامية ، ورجال وأطفال ونساء وليشحذ وينشط الهمم ، ويثير وجدان الغيورين ، وهو محور أطال الشاعر أحمد يوسف الحديث فيه ، وعلى رأس هذه المآسي تأتي مأساة الشعب الفلسطيني ، فهي الهم الأكبر الذي يؤرق وجدان كل مسلم لقد ارتبطت تجربة الشاعر أحمد يوسف الشعرية ، ارتباطا وثيقا بفلسطين ، فكانت هذه الأرض المقدسة ، وإنسانها المعذب ، وأحداثها الدامية على مر الأيام ، ونضالها وآمالها ، هي المفجر لتجربته الشعرية ،كما كانت وراء تدفقها واستمرارها ، فهو أبدا مشدود القلب والخاطر إليها، لا تغيب صورتها عنه، في حِلِّه وترحاله، وفى كل أحواله[1] .

وقد ألح الشاعر على هذه المآسي التي تتعرض لها فلسطين في عدة قصائد هي: "يا أخي اللاجئ ، يا أخي ابن فلسطين ، وطني أسوق إليك معذرتي ، ذكريات مهاجر، قسما بالمروج تعبق عطرا ، القدس في ربقة الاحتلال ، من وحي النكبة بلادي ، فما الحر يقبل ظلم الدّخيل ، مجد العروبة، يصور الشاعر هذه المأساة في قصيدة (وطني أسوق إليك معذرتي) [2] فيقول :

وأنـــا الشـــريد فلـــيس لـــي ســـكن * فلقـــد حُرمـــتُ الأهـــلَ والسَّـــكَنا

---

[1]) ينظر :- ديوان يا إلهى لمحمد التهامي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، ص ٢١٠ ، وينظر : فلسطين في شعر يوسف العظم ، إبراهيم محمد الكوفحي ، الجامعة الأردنية مجلد ٢٧،عدد ٢٠٢٢/٢ م ص ١.

[2]) ديوان أحمد يوسف / ص٢١٠.

ورأيت في ليلي صديق هوىً * فتخذت منه الثوبَ والكَفَنَا

مالي أطوف في البلاد فلا * ألقى بها لِهويَّتِي وطنا[1]

وأي مأساة أشد على الإنسان من حرمانه من الأهل والسكن؟

وفي قصيدة (وفقت بالجسر) يصور قوة العدو الغاشم ، وهو يجوس خلال الديار:

هناك بالجسر أهلي لا عدمتهُمُ * لا زادوا لمنظر هذا الذل أحزاني

يسموهم عِلجُ إسرائيل في صلف * سوء العذاب فكل منهم عاني

كم من حَصانٍ كبلَّور الندى خُلُقا * باتت على الجسر تشكو قوة الجاني

ويلٌ وحزنٌ وآمالٌ محطمةٌ * ولا على طفلها المحمول من حاني

لها أنين الثكالى وهي والهةٌ * وزادها في أساها ذلّةُ الشّان

وربّ شيخٍ على جسر الأسي هرم * يرنو لطيف ابنه النّائي ببغدان

حالت يدُ الحادثاتِ السودِ بينهما * فراح يصرخُ من آنٍ إلى آن[2]

فالشاعر في أبياته السبعة سالفة الذكر حريص على أن ينقل هذه الصور المأساوية ، من خلال قصيدته ، التي ألهمت مشاعره، فعرضها بغية أن يقف إخوانه المسلمين على حقيقة الموقف ، ويدركوا أن عليهم واجبا تجاه إخوانهم في فلسطين .

وفي قصيدة " قسما بالمروج تعبق عطرا " يعبر عن إحساس المسلم الذى يؤرقه أن يكون المسجد الأقصى في يد اليهود ، وهذه القصيدة متنفس الشاعر ، حيث يعيش فيها مع خياله ، فيرى المسجد الأقصى وقد تشخص له إنسانا ينادي على قومه يطلب

---

[1]) ديوان أحمد يوسف / ص٢١٠.

[2]) المصدر السابق ، ص٢٠٧-٢٠٨.

النجدة والمساعدة ، والتحرير من قيود العدو ، ينادي يا قوم لقد ضاع الماضي والحاضر ، يقول :

هو نور للمدلجين الحيارى * في ظلام من الضلال الأكيد

سامنا الغرب خطة الذل والجو * ر ونادى في الشرق هل من مزيد

والسلام الذي دعاهم إليه * بين وعد مضى وبين وعيد

إن هذه المقدسات تنادي * ضاع يا قوم صارفي وتليدي[1]

وفي قصيدة (مسجد العروبة) يأسي لهذا التخاذل من الأمة عما يجرى في الأراضي الفلسطينية من قتل وتشريد ، ولا أحد يستجيب يقول :

واها فلسطين كم تشكين من وصبٍ * الصم لانت له واستعبرا الحجر

وكم تشكين من حيف أفاض على * بنيك فاستلأموا للموت وأتمروا[2]

---

[1]) ديوان أحمد يوسف / ص٨٢.

[2]) المصدر السابق / ص٩٤.

المبحث الخامس :

الإشادة بالتاريخ الإسلامي المجيد، وشخصياته الرائدة.

لقد نظر الشاعر إلى تاريخ الأمة الإسلامية نظرة إجلال وإكبار، وصور قادة الأمة ممجدين ، مطالبا أبناء أمته أن يسيروا على نهج أسلافهم ، ليصنعوا المجد من جديد ، يقول الشاعر أحمد يوسف مشيدا بصفات الأسلاف مدافعا عن أعمالهم وإنجازاتهم :

بلابلَ الدوحِ لا توحي الأسي فينا * بل ردي الشّعر ألحانا وغنّينا

ورجّعي لفظة في كل آونةٍ * فمنطقُ الطّيرِ يدني عهد ماضينا

وذكري من رأى التّجديد ديدنه * من نسل يعرب طرّا فضل نادينا

إذ راح ينكرُ ما شادوه من حسبٍ * لم يرع حقا ولم يحفظ لهم دينا

سلو الفرنجة عن أسد غطارفةٍ * أيام أن طارق خاض الميادينا

بكلِّ ليث تقدُّ الهامَ ضربتُه * روى الحديث وشرع الله تلقينا

لم يبق للنّفس حق الصّون إن جبنت * ما لذةُ العيشِ إن ضاعت أمانينا

يبنى لأمته مجدا فإن ذهبت * يبقى لها مجدها من بعدها حينا[1]

وفي قصيدة (سائلوا المجد) يعدد أمجاد الأمة ، ومناقبها ، في محاولة منه لاستنهاض الهمم ، يقول :

سائلوا المجد كم ملكنا عنانَه * وسلوا الدّهر هل رضينا هوانه

---

[1]) ديوان أحمد يوسف / ص١٨٣.

نحن ممن نفوسهم تملأ الأرض * إباءً وعزّةً ورزانة

قد ملكنا ذرا الفخار لأنّا * قد رضعنا مع الفخار لبانه

واذا رامنا مُغير لحربٍ * كلّنا في النّزال يهوى طعانه

إنما المجد أن نعيش كراما * نجعلُ الأرضَ حلةُ أرجوانة [1]

[1]) ديوان أحمد يوسف / ص١٨٤.

الفصل الثاني: الدراسة الفنية

المبحث الأول وفيه : خصائص الشكل

أولا : الأساليب والألفاظ.

ثانيا : التصوير الفني.

ثالثا : الوزن والموسيقى.

المبحث الثاني : خصائص المضمون

أولا : المعاني والأفكار.

ثانيا : العاطفة الشعرية.

المبحث الأول

أولا :- الأساليب والألفاظ :

الألفاظ في الشعر لبنات بنائه الأولى ، فهي أداة للتعبير والإبداع ، تتألف منها معانى الشعر وصوره وموسيقاه ، والأسلوب هو الوعاء الجامع لكل عناصر الأدب الأخرى ، وقد عرفه بعض النقاد فقال : "هو الطريقة الخاصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين بها عمًّا يجول في نفسه من العواطف والانفعالات "[١] .

واللغة الشعرية هي وسيله التعبير والخَلْق، موسيقاه وألوانه وفكره ومادته التي سوى منها كائنا ذا ملامح وسمات، كائنا ذا نبض وحركة وحياة [٢]. فاللغة في الشعر لها شأن آخر، إن لها شخصية كاملة تتأثر وتؤثر، وهى تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلا أمينا، والكلمة الشعرية يجب أن تكون أحسن كلمه تتوافر فيها عناصر ثلاثة المحتوى العقلي ، والايحاء عن طريق المخيلة، والصوت الخالص، ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالا إيقاعيا بحيث يؤدي هذا التلوين الإيقاعي إلى الغاية المطلوبة [٣] .

---

[١] شعر دعبل الخزاعي ، ت عبد الكريم الاشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ، ط الثانية ١٩٨٣م ، ص٧٦ .

[٢] ينظر : لغة الشعر الحديث ، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية ، دار المعارف ، ط الثانية ١٩٨٣م ،ص٧٢ .

[٣] ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل ،دار الفكر العربي ، ط الثالثة ١٩٧٤م ،ص ٢٥٠ .

ولذلك كانت عناية النقاد بجانب الأساليب والألفاظ كبيرة ، فقد بحثوا هذا الجانب بحثا جيدا ووجهوا الأدباء إلى ضرورة العناية بهذا الجانب . وأهم ما يتميز به هذا الديوان الذى بين أيدينا فيما يتصل بجانب الألفاظ هو السهولة والوضوح ، فإذا راجعنا هذا الشعر وجدنا ألفاظه سهلة قريبة المعنى ، واضحة الدلالة ، ولا عجب ، فالشاعر يريد أن يخاطب بهذا الشعر العامة والخاصة من أبناء أمته ومن ثم فهمهم لهذه الأشعار وما تحمله من مضامين أمر يسير ، وذلك حرصا من الشاعر على إيصال فكرته إلى كل قارئ في أقل وقت ممكن ، وهذه الخاصية واضحة جلية . في هذا الديوان ، يقول الشاعر في إحدى قصائده والتي جاءت بعنوان: (ليلة القدر)

يا ليلةَ الدعوات البيض لا بَرِحَتْ * ذكراك في خاطر المُعْتر والعاني

فيك السعادةُ بالقرآن قد نزلت * آي الهُدى فتوارى كل بيان

وراح يغمر هذا الكون قاطبةً * نورُ الهداية من طه وعمران

والأرضُ قد أشرقت ثملى على عجلٍ * بنشوة الخير في تقوى وإيمان[1]

وهكذا ، لو قرأت القصيدة كلها لا تكاد تعثر على كلمه غريبة – في الغالب – تحتاج إلى إعمال فكر في دلالتها ، أو كلمه قلقة في موضوعها جاءت بها القافية أو الوزن ، كما لا تكاد تجد معنى مستغلقا. ومن أبرز الظواهر الفنية في أسلوب الشاعر أحمد يوسف(القوة والجزالة) وهما نتاج لثقافته العربية الإسلامية الأصيلة ، ومما يبين القوة والجزالة عند الشاعر قوله في ليلة القدر :

أنت الّتي فيك نورُ الله يرقبه * كلُّ ابن أنثى قديما منذ أزمان

دنيا من الأمل البسّام ما فتئت * تفترّ فيها الأماني ذات ألوان

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص٢٠١ .

نورُ الهدى والسّلام المحض قد * في ذا الوجود فكانا خيرَ برهان

تبدو الملائكُ فيها يومَ مقدمها * نشوى ويرنو سرورا كلّ نشوان

والحور في خالدِ الجناتِ باسمةٌ * يا حسنَ هاتيك من حُورٍ وولدان [1]

وقوله في مولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

زهت باسمك الدنيا وأينع ما بها * وأزهر غضُّ العود فيها وأملد

حنانيك ما أحلى الهدى بعد ضلّةٍ * إذا أبصر الإيمان أعمى وأرمد

صدحت على أفنان هديك فاستمع * فإنّ قليل الأيك فيها المغرّد

ليهنأ بنور الإسلام أنت رسولهم * وأنت على رغم الزّمان الممجّد [2]

فمن يقرأ الأبيات السابقة يدرك تمام الإدراك أنها تتسم في أسلوبها بالقوة والجزالة ؛ بمعني اختيار الكلمات والجمل القوية الدقيقة ، كما تتميز أيضا بالقرب من الأفهام وعدم الحوشية والغرابة ، وهذا ما يبدو في كل الألفاظ والتراكيب داخل المقطعين . وقد استطاع الشاعر أن ينوع في أسلوبه وفق ما يقتضيه المعنى فقد ظهرت براعته في الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي في شعره الإسلامي ، فمرة يعتمد علي الخبر وخاصة في أثناء القص والإخبار،,وهذا يأتي كثيرا ومرة يعتمد علي الأساليب الإنشائية التي تأتي مبثوثة في القصائد والمقطوعات لسر بلاغي يهدف إليه الشاعر ومراعاة للموقف .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف، ص ٢٠٠ .

[2]) المصدر السابق، ص٦٧ .

ومن أساليبه الخبرية قوله :

أنت رمز الفخار في أمة العرب * وهمس الضّمير في كلّ خاطر

مجدها سامق يتيه مع الشّمس * ويعلو علي السّها ويفاخر

رفرف الخلد من صنيع قوا * فيها، ودرّ الشموس في كلّ ناثر[1]

وقوله في شهر رمضان أيضا :

شهر أطلَّ علي الدُّنيا فأرّجها * بعبق تقواه واهتزت له السرر

شهر تراءت به الآمال وهي رؤى * رفافة تتهاوي دونها الفكر

شهر التُّقى واللّيالي الغرّ ما برحت * تختال فيه المنى العجلى وتزدهر[2]

ومن الأساليب الإنشائية التي جاءت في شعره الإسلامي ، قوله:

هل للعروبة حظّ فيك مؤتلق * يحيي لهم من تليد المجد ما هجروا

وهل بنو العرب شاء الله أن يثبوا * من رقدة النوم فالأوطان تحتضر[3]

والاستفهام في البيتين (هل للعروبة ، وهل بنو العرب)؟ للتمني مجازا وإن كان يحمل في طياته الرجاء طمعا من حدوثه ، لكن الواقع وما صار إليه العالم العربي يبرز التمني لاستحالة وحدتهم وتجمعهم علي قلب رجل واحد.

ومن الأسلوب الإنشائي أيضا قوله :

يا قيادة العرب هل لانت شكيمتكم * فصال تيها عليكم كل عيراني[4]

والاستفهام في البيت السابق يفيد الانكار والتوبيخ .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص١١٩ .

[2]) المصدر السابق، ص١٢١.

[3]) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

[4]) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

ويقول أيضا :

أيــن الحميــة يــا أحــرار قادتنــا * وأيـن مـن يفتـديها بالـدم القـاني [١]

ومن يقرأ البيت السابق يجد الاستفهام أفاد الحضَّ والحسَّ على الحمّية.

ومن أساليب الأمر الإنشائية قوله:

ليلــة القــدر كشّــفي ذلــك الغيــبَ * ومــا قــد ســما عــن الأذهــان

وأميطـي اللّثـامَ عـن حادثـاتِ الـدّهر * يخبــــو تبلبــــلُ الحيــــران [٢]

ويقول في نفس القصيدة :

خبّــري عــن ســجلِ أمــاليَ البــيض * إذا مــا انطــوى ، وعمــري الثّــاني

واســـكبي وحيَـــك المهـــيمنَ رقـــرا * قـا علـي خـاطري كصـافي الـدّنان[٣]

وأسلوب الأمر في الأبيات يفيد الرجاء رغبة في تحقيق ما يطلبه وإمكانية حدوثه.

ومن الأساليب الإنشائية أيضا النداء ومنه قول الشاعر :

يـا ليلـة القـدر كـم يرجـوك مـن عـان * ثـاو علـى اليـأس فـي هّـمٍ وأشـجان

يــا ليلــةَ القــدر ياســرَّ الوجــود فكــم * يهفو لما فيك من مضنى وأسيان[٤]

نداءات يقصد بها التعظيم تعظيم ليلة القدر ورفعة شأنها ومنزلتها .

ويقول في موضع آخر :

يــا رســول الهــدى إليــك تناهــت * بارقــات المنــي وحســن المصــائر[٥]

والنداء في البيت لتعظيم الشأن، ففي قربه الخلاص والنجاة.

---

[١]) ديوان أحمد يوسف، ص ٢٠٨ .

[٢]) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

[٣]) المصدر السابق، ص ١٩٤.

[٤]) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

[٥]) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

وقد استخدم الشاعر ألوانا من القصر عندما أراد إثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه ، يقول الشاعر :

لا يقبل الضّيمَ في دنيا الحياة ولا * يُشَجُّ مُسْتَسلما إلاّ الأذلال [1]

فقد قصر الشاعر قبول الضيم والشج مستسلما علي الأذلال قصر صفة علي الموصوف .

ويقول الشاعر :

فأنت ما أنت إلاّ رمز من هَتفَتْ * به الملائك لا مَيْنُ ولا حسد [2]

فقد قصر الشاعر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي التفرد بهذه المكانة قصر موصوف علي صفة.

ومن الظواهر الأسلوبية والفنية في شعر أحمد يوسف ظاهرة التكرار [3] ، وهو ظاهرة يلجأ إليها الكثير من الكتَّاب والشعراء في أعمالهم لسر بلاغي ، وله صور متعددة . وقد استعمله الشاعر أحمد يوسف في شعره الإسلامي ، فكرر بعض الألفاظ وكذلك بعض الجمل في أثناء الصياغة والأسلوبية .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف، ص٢٠٨ .

[2]) المصدر السابق، ص٧١ .

[3]) التكرار: إلحاح علي جهة مهمة في العبارة، يعنى بها الكاتب أكثر من عنايته بسواها، فهو يسلط الضوء علي نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، ينظر: ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد الكتاب العربي، دمشق ، ٢٠٥ م ، صـ٩، وينظر ظاهرة التكرار في شعر محمد لافي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية، صـ ٢٢ .

ومن تكراره للألفاظ قوله :

لبّيك لبّيك إنّا أهل بجدتها * يوم الجلاد لنا عزّ ومفتخر [1]

كرر الشاعر لفظ لبيك تكرارا أفقيا للتأكيد، ومن تكراره للألفاظ أيضا ما جاء في قوله :

شهر أطل علي الدنيا فأرجها * بعبق تقواه واهتزت له السرر

شهر تراءت به الآمال و هي رؤي * رفافة تتهاوي دونها الفكر

شهر التقي و الليالي الغر ما برحت * تختال فيه المنى العجلى و تزدهر

فقد كرَّر الشاعر لفظ " شهر" ثلاث مرات تكرارا رأسيًّا للتأكيد علي المنزلة العظيمة لشهر رمضان المبارك ، ثم لبيان فضائله الكريمة [2] .

ومن تكراره لكلمتين ما صنعه في قصيدة رواية العام الهجري ، حيث كرر اسم الإشارة واسم الموصول "هذا الذي " في قوله:

هذا الذي حارب الكفر الأثيم وقد * عمت مآثمه الصحراء والزّور

هذا الذي اختاره النّاس رحمتهم * ربٌ علي صنعه والفضل مشكور [3]

فهو قد كرر الكلمتين "هذا الذي" للتأكيد على منزلة الرسول وكيف كان مبعثه . صلى الله عليه وسلم . نورا تجلت وانكشفت به الظلماء ؟ وأن المولي أرسله رحمة للعالمين .

---

[1]) الديوان ، ص ٩٥ .

[2]) الديوان ، ص ١٢١ .

[3]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٥٩ .

ومن تكراره لبعض الجمل ما ورد في قصيدة "يا أخي اللاجئ "حيث أعاد جمل "أنت مثلي هائم " في النص ثلاث مرات .

أما عن السر في هذا التكرار فهو للتأكيد عن الضياع والإحساس والشعور بعدم الأمن والأمان يقول :

أنـــت مثلـــي هـــائمٌ تضـــربُ فـــي * شاســعِ الأفــاق فــي دنيــا المحــن

أنـــت مثلـــي هـــائمٌ تنشُـــدُ مـــا * ضـــاع مـــن أوطانـــه عبـــر الـــزّمن

أنـــت مثلـــي هـــائمٌ لا يرتجـــي * عـــودةَ الهيمـــان يهفـــو للـــوطن[1]

وقد تأثر الشاعر أحمد يوسف في أسلوبه بالتراث وهو كل ما أثر عن السابقين في الدين والعلم والحضارة أو هو ما خلفه الأجداد للأحفاد ، وما ورثه السلف للخلف من معجزات العلم ومعطيات الفن [2] .

والتأثر به معناه استدعاؤه واستحياؤه والتواصل معه في النصوص الجديدة عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو غير ذلك مما يعرف في الفكر العربي المعاصر بالتناص ، وهو كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى بحيث يصبح نصا في نص تناصا .[3]

---

[1]) ديوان أحمد يوسف، ص ١٩٤

[2]) ينظر الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش دراسة موضوعية فنية ، عيسي محمد إبراهيم ، كلية اللغة العربية بجرجا ، العدد ٢٢، ٢٠١٨ م . و ينظر التناص نظريا وتطبيقيا ، أحمد الزغبي ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ٢٠٠٠ م ص ،١١.

[3]) ظاهرة التناص في روايات مؤنس الرزاز ، مخطوط في جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨ م ، ص ٢٧ .

و قد استدعى الشاعر أحمد يوسف كثيرا من صور التراث العربي والإسلامي الحنيف في شعره ، و ذلك مثل القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم والتاريخ الإسلامي في كثير من أحداثه وشخصياته في أسلوب الشعر الإسلامي لديه . وللقرآن الكريم أثره الكبير في أسلوبه الشعري، ومن ذلك قوله في ليلة القدر :

نـــزل الـــروح بالرســـالة والـــد * يـن علـي المصـطفى وبـالقرآن[١]

فقد تأثر بقوله تعالي : **" وإنه لتنزيل من رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين** " [٢]

للدلالة علي عظم القرآن ورفعة شأن ليلة القدر ، ففيها أنزل القرآن من خالق الخلق ومالك الأمر كله ، نزل به جبريل . عليه السلام . علي أشرف المرسلين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

و من تأثيرات القرآن الكريم في أسلوبه أيضا ما ورد في أثناء مناجاته لرب العالمين :

غيـــرك الأربـــاب يـــا مـــولاي زيـــف و ريـــاء

لا و لـــن يبقـــى لغيـــر الله فـــي الكـــون بقـــاء [٣]

فالشاعر بلا شك متأثر بالآية القرآنية : ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه [٤] " للدلالة علي أن العبادة لا تليق إلا لله ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته ، فهو الدائم الباقي الحي القيوم ، الذي تموت الخلائق ولا يموت .

---

[١]) ديوان أحمد يوسف، ص ١٩٤ .

[٢]) سورة الشعراء الآيات ١٩٢ –١٩٤ .

[٣]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٣٥ .

[٤]) سورة القصص من الآية ٨٨ .

و من التأثيرات القرآنية في قصيدة أخرى :

إلـــــي الله أشـــــكو لا إلـــــى النـــــاس حـــــاجتي

مـــا خـــاب مـــن يشـــكو لـــه أمـــر أو يخيـــب [1]

فالشاعر تأثر بقوله تعالي " قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون "[2].

فهو لا يظهر همه وحزنه إلا لله وحده ، فهو كاشف الضر والبلاء .

أما عن التأثر بالشعر العربي قديمه وحديثه لدى الرواد فقد ورد كثيرا في شعر أحمد يوسف الإسلامي وغيره ، حيث تجاوب الشاعر مع كثير من الشعراء القدماء **مثل** ابن القارض وعمرو بن كلثوم ، كما أعجب بكثير من شعرائنا الرواد المعاصرين فاستمد قصائدهم من أمثال أحمد شوقي وغيره ، و من هنا كثر التناص أو التواصل في شعره ، واستفاد من هؤلاء العظام في تأييد فكره . و من تواصله مع الشعر القديم قوله :

هـــلاّ رحمـــت متيمـــا بـــك والهـــا * ســـمحت بـــبعض مـــا منيّتـــه[3]

فقد وجد في شعر ابن الفارض ما يساعده علي إبراز هذه الفكرة وتأكيدها ، فتناص معه يقول ابن الفارض .

قلبـــي يحـــدثني بأنـــك ملتفـــي * روحـــي فـــداك عرفـــت أم لـــم تعـــرف [4]

أما عن تواصله مع الشعر العربي المعاصر ، قوله :

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ،٤١ .

[2]) سورة يوسف الآية ٨٦ .

[3]) ديوان أحمد يوسف، ص٥٦ .

[4]) ديوان ابن الفارض ، ضبط وتصحيح: محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ٢٠٠٣ م ١٤٢٤ هـ ، ص ٢٨٠ .

إيه يا مصر نيلك الكوثر العذ * ب عضه الظلام بنابه [1]

فذلك متواصل مع قول أمير الشعراء أحمد شوقي :

النيل العذب هو الكوثر * والجنة شاطئه الأخضر [2]

و أما عن تأثره بالتاريخ الإسلامي في أحداثه وشخصياته وأعلامه فقد اتضح ذلك عند الحديث عن موضوعات الشعر الإسلامي آنفا ، حيث تناول الشاعر أحمد يوسف في المدائح النبوية وحادث الهجرة مقاطع من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة من المهاجرين والأنصار، وعرض حادث الهجرة عرضا شيقا مستمدا ذلك كله مما ورد في التاريخ الإسلامي من الأحداث والسير فيه .

ثانيا : التصوير الفني :-

عرف أحد النقاد الصورة الفنية بأنها " نقل الأشياء كما تقع في الحس والشعور والخيال ؛ فهي خلق جديد يتشكل داخل النفس " [3]. و هناك تعريفات أخرى متقاربة تجعل من الصورة الفنية الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قارئه أو سامعه [4] . أو أنها التركيب القائم علي الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر – أعني خواطره ومشاعره وعواطفه – المطلق

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٤٤ .

[2]) ديوان أحمد شوقي ، ص ٥٥ .

[3]) الصورة الفنية في المفضليات ، (أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية) الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٥ .

[4]) ينظر أصول النقد الأدبي ، د. أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط العاشرة ، ص ٢٤٢.

من عالم المحسات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعني في إطار قوي مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين " [١]

وتعد الصورة الفنية من القيم الأساسية في الأعمال الأدبية ؛ لأنها . بلا شك – الوسيلة الجيدة الدقيقة لإظهار التجارب الشعورية ؛ لما تحويه من أفكار وخواطر ومشاعر وأحاسيس ، ومن دونها لا نعرف شيئا بدقة عن تجارب الآخرين ، كما لا يستطيع الآخر أن يعرف عن تجاربنا شيئا[٢].

فالصورة من أشد العناصر المحسوسة تأثيرا في النفس ، وأقدرها على تثبيت الفكرة والإحساس فيها؛ فهي الوجه المرئي أو المحسوس للخيال .. فالصورة وسيلة لتثبيت الآثار العاطفية للشعر والأدب في نفوسنا [٣] . ومن خلال دراستي لشعر الشاعر أحمد يوسف في هذا الديوان وجدته زاخرا بالصور الفنية الرائعة البديعة ، وهي صور جرت علي منهج التصوير العربي القديم في بعضها ، كما أن بعضها جاء جديدا واستطاع الشاعر من خلال هذه وتلك أن يوظف الصورة الفنية توظيفا فنيا جيدا .

أما عن السمات الفنية لهذا لتصوير الفني في الشعر أحمد يوسف فيما يلي :

١. **القرب والوضوح :** لقد استعان الشاعر أحمد يوسف في شعره الإسلامي بصور عامة واضحة وخيال قريب مفهوم لدى كثير من المتلقين ؛ مما هيأ الأذهان لتقبل أبياته ، والتجاوب مع ما تضمنته من المعاني التي أتت في هذه الأشعار ، أراد الشاعر

---

[١]) الصورة الأدبية ، تاريخ ونقد ، د. علي صبح ، دار إحياء الكتب العربية ، ص ١٤٩ .

[٢]) ينظر الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، د. على صبح ، ص ١٠٩ .

[٣]) ينظر فن كتابة السيرة بين عبد الحميد جودة السحار ومحمد فخري فايد ، مخطوط كلية اللغة العربية بأسيوط ، ٢٠١٤م ، ص ٢٦٦.

أن يوصلها إلى الآخرين بأدوات فنية متعددة من أبرزها التصوير الفني ، ومن أهم الأمثلة علي ذلك قوله في ميلاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

زهـا بـالنّبي الكـون وانجـاب ظلمُـهُ * ونـام علـى المنـى كـلّ سـاهر

ونـادت بـه بشـرى الوجـود فأشـرقت * نجـوم الـدراري فـي سـماء البشـائر

وتـاه بـه الإسـلام فخـرا وقـد غـدت * تعاليمـه الجلَّـى هـدى كـلّ حـائر[1]

فالصورة التي رسمها الشاعر لميلاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضحة وقريبة من أذهان المتلقين ؛ لأنها سيقت بأسلوب سهل ، وخيال قريب ، فبميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف الكون وانقشع الظلام ، وأشرقت النجوم الدراري في سماء البشائر ، وقد استعان الشاعر ببعض الاستعارات المكنية السهلة مثل " زها بالنبي الكون وانجاب ظلمهُ " وتاه بالإسلام فخرا " إلى آخره .

ومن الأمثلة أيضا تصويره لليلة القدر يقول :

والـدّرارى علـى أديـمِ دجاهـا * كسـموط منضّـد مـن جُمـان [2]

فالصورة واضحة سهلة ، وقد ركز الشاعر فيها على أهم خصائصه وهي القرب والسلامة ، فالشاعر يشبه نجوم هذه الليلة بأنها درر منثورة في ظلام السماء ، وهذه الدرر قد انتظمها سماط (خيط خرز) لا يضم في خيطه سوى اللؤلؤ ، وهذه الصورة الحسية توضح رؤية الشاعر من حوله في هذه الليلة المباركة حيث يرى كل شيء في سمائها جميلا قيما ثمينا ، ولا شك أن الشاعر هنا يسير على نهج الأقدمين في هذا التصوير .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٠٢.

[2]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٩٣ .

٢. **الاعتماد على التشخيص :** والتشخيص يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية ويهب لهذه الاشياء كلها عواطف آدمية ، وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين ، وتأخذ منهم وتعطي "[١] .

وقد ورد ذلك في بعض الصور الشعرية لدي الشاعر أحمد يوسف في شعره الإسلامي وذلك مثل تشخيصه للتاريخ الإسلامي والزمن والمظالم والحقوق وغير ذلك من المعاني المجردة التي أضفى عليها الشاعر لونا من الحياة والحركة والرؤية والكلام والفطر والشعور .

ومن ذلك تشخيصه للتاريخ عند مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يقول الشاعر :

يـا عـامُ نـورك فـي الأكـوان لألاءُ * يـوم مقـدمك المحمـود وضّـاء
حيّتـك فـوق الأراك الغـضّ صـادحة * ورّجعت لحنهـا فـي الـرّوض ورقـاء
ويعفـو لـك القلـبُ والآمـال مظلمـة * تسـتوكف الخيـرَ والأيّـام نكـراء
أتيـت والنـاس فـي هـم تقـاذفهم * زعـازعُ مـن جحـيم الشّـرّ هوجـاء
علـى الأبـاطح أنهـار وأوديـة * مـن النّجيـع ، وفـوق الأرض أشـلاء
لا الأرض تنجـاب عـن أرجائهـا ظلـمُ * مـن الغبـار يغشـيّها ولا المـاء [٢]

إنه يشخص عام الميلاد ويضفي عليه الحركة والحياة والكلام والسمع في هذه الصورة ويناديه وكأنه إنسان يسمعه ويجيبه، وذلك حينما يجعله يسمع ويطلب منه مناجاة السيد المسيح كي يخلص العالم مما ران عليه من الظلم والشرك والضلال.

---

[١] ينظر : البيان البديع ، جامعة المدينة العالمية ، ١٢٢/١ .

[٢] ديوان أحمد يوسف ، ص ٣١.

وكذلك شخَّصَ الشاعر أحمد يوسف ربة الشعر وهي الموهبة لديه أو الروح الشعرية عنده حينما خاطبها في حوار أحادي ، وطلب منها أن تمده بعظيم المعاني والأشعار حتى يتغنى في وطنه بأجمل العبارات يقول :

يا ربّة الشعر مالي عندك مصطبر * منّك النّشيد ومنّي اللّحن والوتر

أنت التي في رياض الشّعر ملهمتي * وأنت قيثارتي يحلو بها السّمر

تشدو على وتر الذّكري فيغمرها * فيض من النّور يبدو وهو منتشر[1]

وهكذا كان التشخيص من الأدوات الفنية الخيالية التي استعملها الشاعر في شعره الإسلامي ، وقد أدى دوره في رقي الصورة بما أضافه لها من الحركة والحياة .

٣. **الحسية والواقعية** : ويُعنى بها أن صوره كانت تعتمد على الخيال المحسوس والتصوير المادي الناقل لما هو أمامه سواء أكان ذلك في التاريخ والتراث الإسلامي أم في الواقع المشاهد في المجتمع .

وحينما نقرأ في شعر أحمد يوسف الإسلامي نلحظ أن صوره كانت تنقل من الواقع التاريخي الإسلامي ، وتستمد من مخزونه في الأحداث والشخصيات أو من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الشاعر مع بقية الفلسطينيين في منتصف القرن العشرين.

ومن صوره الحسية قوله : في تحية شهر رمضان المبارك :

هات القياثر فالأكوان مصغية يرنو لها الدهر والأفلاك والقدر [2]

فهي صورة حسية تعبر عن الحياة التي تدب في أوصال الكون بسبب شهر رمضان، وكأن شهر رمضان ينفخ الروح والحياة في الكون .

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ١٣٠.

[2]) المصدر السابق ، ص ١٢١.

ومن صوره الحسية الواقعية المستمدة من الواقع المعيش قوله في وصف أهل فلسطين ، يقول :-

شاهدتُ يا بؤس ما شاهدت من نفرٍ * أضناهم البعد تحنانا لعّمان
رأيت بالجسر أشلاءً ممزقةً * من العروبة فوق الهيكل الفاني
والناس في غمرة البأساء قد نكروا * من خمرةِ الذّلّ قاصي النّاس والدّاني

يسومُهم علج إسرائيل في صلف * سوءَ العذاب فكلٌّ منهم عاني
كم من حَصانٍ كبلَّوْر النّدي خُلُقا * باتت على الجسر تشكو قوة الجاني [1]

فهي صورة حسية ترسم صورة الواقع الذليل لأهل فلسطين في ظل الاستعمار، وهي تعتمد على الأسلوب الحقيقي كثيرا .

ثالثا : الموسيقا الشعرية :

الموسيقا الشعرية عنصر جوهري في الشعر ، وهي أقوى عناصر الإيحائية ، فالموسيقا هي حجر الأساس الذي يقوم عليه العمل الشعري ، وهي الميزة التي تميزه عن النثر وتجعل له ميلا فنيا في النفس الإنسانية ؛لأنها تستجيب وترتاح لما يكون منتظما ، أو مستمرا في حالة منتظمة متشابهة [2].

---

[1]) المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

[2]) ينظر : الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم ، مخطوط في جامعة أم القرى ، ٢٠٠٩م ، ص ١٠٨ .

ولهذه الأداة قيمة كبرى في الشعر ، ذلك أنها مصدر الرونق والجمال فيه ، وبها يعلو هذا الفن ويتقدم على غيره ، ويكتسب صفة البقاء والخلود ، ويظل ذا أثر فعّال في نفوس المتلقين مهما طال الزمان [١].

وقد اعتمد الشاعر أحمد يوسف على هذه الألوان الموسيقية في شعره الإسلامي ، وكانت من أهم الأدوات الفنية التي ساعدته على إبراز معانيه وتقديمها للمتلقين والتأثير في نفوسهم من خلال القصائد والمقطوعات التي قدَّمها .

وأما عن أهم السمات الفنية لهذه الموسيقا الشعرية لدى الشاعر أحمد يوسف فيمكن أن تحدد فيما يلي :

ـ التركيز علي الأوزان الأصيلة : فقد ركز الشاعر على تلك الأوزان الشعرية الواردة عن العرب القدماء ، ولم يخرج عنها في معظم أعماله الإسلامية ، سواء كانت قصائد أو مقطوعات . وقد كان البحر البسيط والبحر الخفيف من أكثر البحور دورانا في هذا الشعر .

فهو قد استخدم البحر البسيط في عشرة أعمال هي تحية عام الميلاد والتي بدأها بقوله :

يا عامُ نورك في الأكوان لألاءُ * ويوم مقدمك المحمود وضّاء [٢]

وقصيدته "هنا ملاذ الحيارى " والتي بدأها بقوله :

يا صاحبَ الهمّة الشّماء إنّ لنا * في عرشك المُجتبى عونا على الكرب [٣]

وقصيدته " تحيه الشهر للعام الهجري الجديد " والتي بدأها بقوله :

---

[١]) ينظر : الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ١٤٢٥ .

[٢]) ديوان أحمد يوسف ، ص٣٣.

[٣]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٤٧.

تلّفــت الــدهر يســتوفيك والأبــد * يا عامُ إنّك في دنيا الورى أحد [١]

وبقية القصائد هي " تحية الشعر لشهر رمضان المبارك ـ يا موطني – من وحي النكبة – ليلة القدر ـ وقفت بالجسر ـ نشيد الحجيج .

واستخدام البحر الخفيف في سبعة أعمال تتمثل في قصيدته " العربي الجريح " والمبدوءة بقوله :

لا تلوموه إن أراق دماءه قد رأى الظّلم في العرين فساءه [٢] .

و قصيدته في ذكرى ميلاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي كان مطلعها :

ساجعات الخلود من كّل طائر رجّعي من علاك لحن البشائر [٣]

وأيضا قصيدته " قسما بالمروج تعبق عطرا " والتي يقول في بدايتها :

هاك حُلْو النّشيد بعد النّشيد * عبقريّ السّنا بعهد جديد[٤]

وبقية القصائد هي : "في ذكري المولد النبوي الشريف ، رواية العام الهجري ، سائلوا المجد ، ليلة القدر .

ولعل الشاعر أحمد يوسف قد أدرك بطبعه الموسيقي العلاقة بين الأوزان وموضوعات الشعر والحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر ؛ لذا فقد جاءت أوزانه متلائمة إلي حد كبير مع أغراضه الشعرية ، فهو في معرض المديح الوطني الصادق

---

[١]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٧٠.

[٢]) المصدر السابق ، ص ٣١.

[٣]) المصدر السابق ، ص ١١٨ .

[٤]) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

يأتي بالبحر البسيط ؛ لأنه يناسبه لما فيه من القوة فهو بحر يصلح للمواقف العنيفة [1] . وأيضا يأتي في معرض المديح النبوي بالبحر الخفيف فهو بحر يجنح للفخامة، واضح النغم والتفعيلات ، فلا يقرب من الأسجاع قرب السريع ، بحيث لا يبلغ حد اللين ولا حد العنف ولكن يأخذ من كل نصيب [2].

وقد استخدم الشاعر أحمد يوسف بعد ذلك عددا من البحور الأخرى ذات الأوزان الأصيلة في شعرنا العربي القديم وهي علي الترتيب (الكامل – الطويل – الرمل – مجزوء الرمل) .

نستنتج مما سبق أن الشاعر كان معتزا بتراثه الشعري وأن ذوقه الفني والموسيقي كان متوافقا في الأساس مع أوزانه الأصيلة التي تقوم على وحدة النغم " الوزن " في كل عمل شعري وتكراره في كل أبياته حتي النهاية ، مما يضفي على القصائد الرنين المؤثر الذي يضاعف من الإحساس بجمال الشعر في الفكر والشعور لدى المتلقين .

٢- الاهتمام بالقافية الموحدة : ومعروف أن القافية تعد جزءا وركنا رئيسا من أركان الموسيقا من الشعر العربي؛ لما لها من وقع رتيب ونغمة ثابتة بتكرارها في القصيدة مع نهاية كل بيت . ومعظم الشعر الإسلامي لدى الشاعر أحمد يوسف يقوم علي القافية الموحدة التي يتكرر فيها الروي في نهاية الأبيات لتحدث إيقاعا جميلا يجذب المتلقي ويدفعه إلي المتابعة ، وهذه القافية أتت مطلقة ومقيدة ، ومنوعة الحروف ، ومن أبرز حروفها من هذا الشعر الباء والدال والتاء والميم وغيرها ، والراء هي أكثر الحروف التي قامت عليها القافية في هذا الشعر ، وقد أتت مفتوحة لدى الشاعر أحمد يوسف في قصيدته المبدوءة بقوله :

---

[1]) المرشد الي فهم أشعار العرب وصناعتها د/ عبدالله الطيب ، مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م/٤٠٦ .

[2]) ينظر المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

إلهـــي ســـألتك فـــي أمّتـــي * فكـن أنـت ناصـرها الأشـهرا [١]

وأتت مضمومة كما في قول الشاعر :

شـهر تـراءت بـه الآمـال وهـي رؤى * رفافـة تتهـاوى دونهـا الفكـر [٢]

وأتت مكسورة كما في قوله :

ولـد الحـق يـوم مولـده السـا * مـي وأضـحت ذكـراه فـي كـل سـاهر [٣]

وكذلك روي الدال الذي يضفي على القافية لونا من الموسيقى العذبة، وقد جاء في قافية الشاعر :

يا عام حدّث عن الماضي وما صَنَعَتْ * يـد الزّمـان ومـا يـأتي عليـه غـد [٤]

وكما في قوله :

زهـت باسـمك الـدنيا وأينـع مـا بهـا * وأزهـر غـضُّ العـود فيهـا وأملـد [٥]

وهكذا توالت القوافي الموحدة الروي في قصائده الإسلامية لتحدث إيقاعات جميلة تجذب إليها (نفوس المتلقين).

٣- **توظيف الأشكال الفنية المتعددة للقوافي** : وهذه الأشكال هي القصيدة المرسلة والنشيد الشعري والقصائد التي تشبه الموشحات في قيامها علي المقاطع ، وهي جميعها تتخفف من نظام القافية الموحدة باللجوء إلي نظام الرباعيات أو المقاطع التي تتعدد

---

[١] ديوان أحمد يوسف ، ص ٢٣٦.

١) ديوان أحمد يوسف ، ١١٨

٣) المصدر السابق ٨٢

٤) المصدر السابق ، ٧٠

٥) المصدر السابق ، ٦٧

فيها القافية ، كما يبدو فيها الوزن الشعري ومحو الرتابة والملل، وقد استخدم هذا النظام كثير من الشعراء المجددين، وقد ظهر ذلك في مدارس الشعر الحديث كمدرستي الديوان ومدرسة أبولو وغيرهما .

ومما يمثل ذلك في شعر أحمد يوسف هذا النشيد الذي صاغه في مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأقامه علي بحر الرمل ، ونوع في قافيته ، يقول :

عمت البشرى ديارَ العربِ * والأمـــل

ورنـا الكـونُ لهـا يـوم النّبـي * البطـــل

أشـرق النّـورُ علـى ركـن * وانجلـــت عـــن آيـــةِ الحـــقّ الظّلـــم

وتـواري الشـرك فـي بيدائـه * وبـــــدا الإســـــلام كـــــالطّودِ الأشـــــم

يـــا رســـول الـــورى * أنـــــــت رمـــــــز الإخـــــــاء

يـــا ابـــنَ أمّ القـــرى * أنـــــــت وحـــــــي الإبـــــــاء

ولـد الهـادي فحيّتـه الأمـاني * والهمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم[1]

وكذلك النشيد الشعري الذي صاغه في ابنة العرب ، والذي أقامه علي بحر الرمل ، ونوع في قافيته ، يقول

يـا ابنـة العـرب أطلّـي واسـمعي * مـن سـما العليـا نـداء الـذِّكريات

وابعثـي لحـنَ المنـى فـي مسـمعي * إنـــه عـــذب كعهـــد الطّالبـــات

أنـــت يـــا أختُ منـــار السّـــائر * أنـــت فـــي الـــدنيا دليـــل الحـــائر

انشـري النّـور علـى الـدّنيا التـي * أنـت يـا خيـرَ شـذاها العـاطر[2]

---

١) ديوان أحمد يوسف ، ٢٣١.

٢) المصدر السابق ، ٢٢٥.

وهكذا تعددت ألوان الموسيقا في شعر أحمد يوسف الإسلامي مما يؤكد علي أصالته أولا ثم مواكبته لكل جديد ، ورقيَّ حسه ومشاعره وتمكُّنِهِ من أدواته الفنية ، فمرة يلجأ فيها إلى التقاليد الموسيقية الواردة عن العرب المتمثلة في الوزن الخليلي والقافية الموحدة ، ومرة أخرى يلجأ إلى الأشكال الشعرية المستحدثة التي شاعت في مدارس التجديد، وهي المقطوعات والرباعيات والقصائد التي تقوم علي تنوع القافية[١] .

٣) ينظر الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ٨٩.

المبحث الثاني

خصائص المضمون

أولا: المعاني والأفكار :

وهي الحقائق التي يقصد الأديب إلي إبرازها ، ويهدف إلى أن يزفها الي السامع أو القارئ أو المتلقين عموما ليشاركوه فكرته، ويحسوا بما أحس، ويتأثروا بما تأثر، ويحملوا عنه عبء ما يعاني أو بعض ما يؤوده ويثقله بما تأثر، ويخففوا من انفعالاته وإرهاقه وتأثره . [١]

فكل ما يشتمل عليه العمل الفني من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو سياسة أو دين، أو غير ذلك من موضوعات ذات شأن تاريخي أو وطني. ومن هنا يكون المضمون أو المحتوي هو في غالب الأمر المادة الخام التي يستخدمها الأديب أو الشاعر، والتي يشكلها الفنان في الصورة التي يريدها [٢].

ولا بد من تمازج الفكرة بالعاطفة ، ولا بد من تحققها في هذا الأنموذج الرفيع ذلك ؛ لأن الأدب الذي ينقصه الفكرة أدب ميت خامل ضعيف ، ولأن الأدب ليس أسلوبا وتعبيرا فحسب ، بل لا بد أن يضيف إلي معلوماتنا جديدا عن الكون والحياة والوجود والناس [٣].

---

[١] الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ٩١ .

[٢] ينظر : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، الدكتور / محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٩٧٩م ، ص ٢٣٨ .

[٣] ينظر : مدارس النقد الأدبي الحديث ، دكتور / محمد عبد المنعم خفاجي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط الأولى ، ١٤١٦- ١٩٩٥ م ، ص – ٥٠

ويجب أن تكون الأفكار والمعاني في الأدب واضحة ليس فيها لون من التعقيد المعنوي، كما يجب أن تكون صحيحة جديدة دقيقة فياضة [١] . فأعظم الشعراء هم الذين اتسعت معارفهم ، وكثرت تجاربهم وصحت آراؤهم فأخصبوا الشعر وأحالوه فنا رفيعا يجمع بين الإفادة والتأثير .

والأدب الإسلامي شعره ونثره ليس مجانبا للقيم الفنية الجمالية، فهو يحرص عليها أشد الحرص، بل ينميها ويضيف إليها، فهو يميز بين اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق بها، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى، ولكنه ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد [٢] وبالنظر إلي الشعر الإسلامي لدى الشاعر أحمد يوسف نجده يهتم بالمعنى والفكرة على حد سواء مع العواطف والمشاعر، ولذلك يؤثر في المتلقين كثيرا، ويخاطب العقل والوجدان عندهم، وهو يستمد معانيه وأفكاره من المصادر الإسلامية الكبرى كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن التاريخ والسيرة كما يستمدها من تجاربه الذاتية والواقعية[٣] .

أما عن أهم المعاني التي وردت ضمن الموضوعات الكبرى التي عرفناها فيما سبق فهي مناجاة رب العالمين والخضوع له والشكوى إليه والإقرار بقدرته ، وكذلك بيان عظمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسيرته وأخلاقه ومعجزاته . صلى الله عليه وسلم . والتوسل إليه لنجدة المسلمين فيما أصابهم بسبب الضعف والانقسام والاستعمار، وكذلك الكشف عن الحياة الجاهلية وبيان أثر الإسلام الطيب فيها وأيضا بيان ضعف

---

[١] ينظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب، ص ٢٣٧ .

[٢] ينظر : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، مع نماذج من صدر الإسلام ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ص ٢٠.

[٣] ينظر: الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ٥١ .

المسلمين المعاصرين وتفرق شملهم ، ووقوعهم تحت سطوة الاستعمار، ثم الإشادة بالماضي المجيد للأمة العربية والإسلامية [1] .

وقد كان قصد الشاعر من عرض هذه المعاني هو التذكير بها، وربط المسلمين والمعاصرين بتراثهم المجيد، ثم الكشف عن الواقع الضعيف للأمة العربية والإسلامية آنذاك، وأخيرا التعبير عن ذاته وإظهار مواهبه الفنية والأدبية في المناسبات المختلفة عن طريق هذا الشعر المهذب الذي يجمع بين العاطفة والفكرة . ولهذه المعاني والأفكار في شعر أحمد يوسف خصائص كثيرة تتمثل أهمها في النقاط الآتية :

أ- **الوضوح وعدم الغموض** : فمعظم المعاني التي استعملها الشاعر في شعره الإسلامي تتسم بالوضوح وعدم التعقيد، وهذا نابع من اختياره للألفاظ السهلة والأساليب العذبة في شعره ، ثم ابتعاده عن الحوشية في التراكيب والألفاظ ، كل ذلك جعل المعاني سهلة وقريبة من أذهان المتلقين ، ومما يؤكد ذلك قوله في مناجاة المولى والتفرغ إليه في هذا الشعر :

لا ولـــن يبقـــي لغيـــر الله فـــي الكـــون بقـــاء
أحـــد أنـــت بهـــذا الكـــون أرض وســـماء
يـــا إلهـــي احفـــظ حيـــاتي واحمنـــي مـــن كـــلّ داء
أنـــت يـــا باعـــث هـــذا الكـــون مـــن بعـــد الفنـــاء
أنـــا أدعـــوك وأنـــت المرتجـــى فأقبـــل دعـــاء
أنـــا لا أخشـــي عـــوادي الـــدهر صـــبحاً ومســـاء

---

[1]) ينظر : الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ٥٢ .

كيـــف أخشـــاها ونـــور الله فـــي دربـــي ضـــياء؟

أنـــت حســـبي فـــي مـــدى العمـــر إذا المكـــروه جـــاء [1]

وقوله في بيان منزلة المصطفي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

زهـا بـالنبي الكـونُ وانجـاب ظلمُـهُ * ونـام علـى نـاي المنـى كـل سـاهر

ونـــادت بشـــرى الوجـــود فأشـــرقت * نجـوم الـدراري فـي سـماء البشـائر

وتـاه بـه الإسـلام فخـرا وقـد غـدت * تعاليمـه الجلّـي هـدي كـلّ حـائر [2]

فالذي يقرأ هذين المقطعين سرعان ما يفهم معناهما ولا يجد صعوبة في ذلك ، فالمقطع الأول يدعو الشاعر فيه ربه ليحفظه ويحميه من كل داء ، فهو باعث هذا الكون بعد الفناء ، ويقر له بالقدرة على ذلك ، ويقر له بالربوبية والكرم . والمقطع الآخر يذكر فيه الشاعر المنزلة السامية لسيد الخلق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فالأبيات كما نرى واضحة المعنى قريبة من الذهن ، ولا تحتاج إلي كثير من التأمل وكد الذهن في فهمها وفهم ما احتوته من معانٍ وأفكار.

٢- **الواقعية والتسجيل** : ويعني بالواقعية والتسجيل أي أنها مستمدة من الواقع الديني والتاريخي القديم، أو من الواقع الفلسطيني والإسلامي المعاصر، فهي ترصد كثيرا من صورها ، وتسجلها بدقة وأمانة ومما يمثل المعاني الواقعية التسجيلية المستمدة من التاريخ الإسلامي الحقيقي قوله في وصف الحياة العربية عند مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وما كان يحيط بها من مظاهر الشرك والظلم والفساد والضلال ، ثم ما كان ينتظرها من بعثة النبي العدنان ، الذي يقضي علي ذلك كله ، يقول :

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٣٥ .

[2])المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

غَفَتْ في لذيذ النّوم بطحاءُ مكة * ونام على القيثار نجد وفدفد

وغامت علي أرض الحجون سحابة * تروع مغانيها بروق وأرعد

وراحت بأحلام المنى اللاّت لا تعي * من التّيه ، من يجثو إليها ويسجد

وأرخى على العزّى الضّلالُ سدوله * فلم يحمها راقٍ ولم يُغْنِ مرشد

أقامت عليه دولة الشرك عرشها * دعائمُه ليلٌ من الكفر سرمد [1]

فالذي يقرأ الأبيات الخمسة السابقة يجدها تسرد تلك المعاني التي تتصل بالحياة العربية قبل ظهور الإسلام .

ومما يمثل المعاني الواقعية المستمدة من الواقع الفلسطيني والإسلامي المعاصر قوله في هذا الواقع في ختام بعض القصائد التي خصصها لمديح الرسول ـ صلى الله عله **وسلم ـ ما يلي :**

صفوةَ الخلقِ إنّ شعبك يشكو * وهو من أمة الطّغام مهدّد

ها هنا استنسر البغاث علينا * ورأى نفسه عقابا وهدهد

سترانا على هداك مقيمين * إذا ضلّ كلُّ باع وملحد [2]

فالمعاني في هذه الأبيات تصف حال المسلمين في العصر الحديث ، فهم يشكون ومهددون من وقوع الظلم والطغيان من دولة الاحتلال .

١- **الوحدة الموضوعية** : ويعني بها وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار علي أن تكون أجزاء

---

[1]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٦٥ .

[2]) ديوان أحمد يوسف ، ص ٦٢ .

القصيدة **كالبنية** الحية ، لكل جزء وظيفته فيها ويؤدي بعضها إلي بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر[١].

وقصائد الشاعر أحمد يوسف في الشعر الإسلامي تقوم على وحدة الموضوع في أغلبها ، أي أن هناك تلاقيا بين الأفكار ، وتأزرا بين المعاني وليس هناك تضارب يباعد بين ذلك في الإطار العام للقصيدة الشعرية ، ومما يؤكد علي ذلك تخليه عن المقدمة الطللية الغزلية في كل بدايات قصائده الإسلامية ، ثم حرصه علي عدم الخروج الأساسي ، ثم اعتماده علي مبدأ التقارب بين الأفكار فيه [٢].

ومن النماذج التي حققت ذلك قصيدته " ليلة القدر " ، وفيها يتناول الشاعر ليلة القدر وبيان فضلها وعظمها وشرفها في كل أبيات القصيدة . وقصيدته في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " شدا يوم عيد المصطفي " وفيها يتناول الشاعر الحياة في الجزيرة العربية كيف صارت يوم مولده وبعثته . صلى الله عليه وسلم . ؟ فالأفكار والمعاني في هذه القصيدة تأزرت وجمع بين أفكارها خيط رفيع واحد ، كما أنها تناولت شخصية واحدة ، ومن ثمَّ تحققت الوحدة الموضوعية فيها ، وكذلك صنع الشاعر أحمد يوسف في قصائده الإسلامية وغيرها .

ثانيا : العاطفة الشعرية : وهي الحالة الشعورية التي تندفع من النفس البشرية إثر انفعالها بحدث تراه أو تسمعه أو بمشهد يؤثر فيه [٣]. وهي عنصر من أهم عناصر النص الأدبي ، وهي التي تميزه عن النص العلمي ، وتجعله شائقا جذابا علي الرغم من

---

[١]) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ٣٧٣ .

[٢]) ينظر الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ٥٦.

[٣]) المعجم المفصل في الأدب ، محمد التونجي ، ٦١٢ .

تكراره وإعادة تلاوته ، والأدب سجل للعواطف الإنسانية ولأدق مشاعر الأديب وخواطره، والأديب الموفق هو الذي ينقل القارئ إلى جوه الفني [١].

والقارئ المتأمل في شعر أحمد يوسف الإسلامي يستطيع أن يحصي عددا من العواطف الإنسانية النبيلة التي دفعته إلي قول هذا الشعر ، وألقت بدورها علي كل آثاره ، فجاء مفيدا جذابا ، ومن أبرز هذه العواطف الرجاء والحب والإعجاب والغضب والألم ، فقد دفعه الرجاء إلى المناجاة الإلهية ، ودفعه الحب والإعجاب إلى المدائح النبوية ، ودفعه الإعجاب إلى التفاعل مع حادث الهجرة النبوية ، كما ساقه الغضب والألم إلى التعبير عن ذاته والواقع المعاصر من خلال الحس الإسلامي عنده [٢].

ومن أبرز هذه العواطف علي الرغم من قلة آثارها في شعره عاطفة الرجاء التي دفعته إلى مناجاة المولى بقصائد تتسم بالصدق والقوة والثبات ومن أهم آثارها قول الشاعر :

أنت لي يا رب في دنياي نور ورجاء
أنت لي في مهمه العمر مدى ظل وماء
أملي أنت ولن ألقي بدنياي عناء
أنت يا مفرد يا خير نصير للضعفاء
نجني يا خير من لبَّى المكروب نداء [٣]

إنَّ من يقرأ الأبيات سالفة الذكر يظهر له الجانب العاطفي في هذه المشاعر الفياضة التي وضعها الشاعر في هذه الأبيات، حيث يدفعه الرجاء إلي أن يقر لله بأنه هو المعين والنور والرجاء، وهو نصير الضعفاء، وقد اتسمت العاطفة في الأبيات

---

[١] ينظر: مدارس النقد الأدبي الحديث ، محمد خفاجي ، ص ٤٥ .

[٢] ينظر: الاتجاه الاسلامي في شعر النقاش ، ص ٥٧ .

[٣] ديوان أحمد يوسف ، ص٣٥ .

بالصدق، فكل ما ذكره الشاعر يتفق مع شعور المتلقين حينما يكونون في مثل موقفه، كذلك اتسمت العاطفة بالقوة وذلك من خلال اللغة التي وظفها الشاعر وهي لغة تتصف بالسهولة والسلاسة ولوضوح . وأما من ناحية ثبات العاطفة فيتمثل في شمولها لكل أبيات القصيدة، وعدم هبوطها في أي جزء منها ، ثم بقاء أثرها في نفوس المتلقين زمنا طويلا، وهذا ما نلمسه الآن بعد أن صدرت في عام ١٩٧٠م أي في منتصف القرن العشرين تقريبا [١].

ومن أبرز العواطف التي صورها الشاعر أحمد يوسف في شعره الإسلامي عاطفتا الحب والإعجاب ، وبخاصة مدحه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، في قصائد عديدة أودعها الشاعر أحاسيسه الصادقة وعواطفه الفياضة، وانفعالاته الجياشة، وحبه الصادق .

يقول الشاعر : –

سمت باسمه الدنيا وطابت جنانها * وفاح شذى أفنانها والأزاهر

يحلُّ اسم طه في هوى كلّ خافق * ويحلو هوى ذكراه في كلّ سامر

زها بالنّبي الكون وانجاب ظلمُهُ * ونام على ناي المنى كلّ ساهر

نادت به بشرى الوجود فأشرقت * نجوم الدراري في سماء البشائر [٢]

فمن يمعن النظر ويدقق الفكر في الأبيات الأربعة السابقة يجد الجانب العاطفي واضحا في هذه الأبيات ، حيث تمتلئ بالمشاعر والأحاسيس الفياضة والطيبة في حبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند بيان فضل يوم مولده، وتتصف العاطفة في الأبيات بالصدق كما أنها تتصف بالقوة ، وهذا يتضح في صياغة لغتها ومفرداتها السلسة الواضحة ، كما يؤكد المقطع على ثباتها وشموله لكل الأبيات واستمراريتها في التأثير منذ ما يقرب من ثمانين عاما عند صدورها حتى الآن .

---

[١] ينظر : الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش ، ص ٦٠ .

[٢] ديوان أحمد يوسف ، ص ١٠٢ .

الخاتمـــة

الحمد لله العزيز الحكيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم والصلاة والسلام على النبي العربي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فقد وفقني الله (عز وجل) علي إتمام هذا البحث الذي تحدث عن شعر الشاعر أحمد يوسف في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، والذي أشار إلي شعره في إيجاز، وألقى الضوء على نظرية الأدب الإسلامي ، ثم عرض لأهم الاتجاهات الموضوعية في شعر الشاعر ، ثم تناول أهم الظواهر الفنية التي اشتمل عليها .

وقد تمثلت أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يأتي :

١- شمولية الأدب الإسلامي وسعة آفاقه ، فموضوعاته لا حصر لها وكل ما في الكون والنفس البشرية والحياة صالح لأن يتناوله الأديب المسلم .

٢- الأدب الإسلامي أدب هادف انطلاقا من أن أفعال المسلم وأقواله منزهة عن العبث.

٣- كانت قصائد الابتهال والدعاء ، والقصائد التي تبين خُلُق النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترصد سيرته من أهم الموضوعات التي اشتمل عليها شعر الشاعر أحمد يوسف .

٤- تحدث الشاعر عن شهر رمضان وليلة القدر ، وبين ما لهما من فضل عظيم ، ومكانة سامقة.

٥- عالج شعر الشاعر أحمد يوسف قضية ضعف الأمة الإسلامية ، وتغير أحوال المسلمين .

٦- تميز المعجم الشعري للشاعر بأصالة المفردات الشعرية ، وسهولتها ، وإيحائها.

٧- اتسم شعر الشاعر بدقة التصوير الفني وإن غلبت عليه الصورة الإسلامية القديمة.

٨- تنوعت الأساليب الشعرية في شعر الشاعر بين السهولة والرصانة ، والخبرية والإنشائية.

والحمد لله أولا وآخرا.

فهرس المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .

١. الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن سعد الدبل ، مخطوط في جامعة مؤته ، ٢٠٠٨ م.

٢ـ الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محمد صديق دراسة وصفية تحليلية ، مخطوط في الجامعة الإسلامية بغزة .

٣ـ الاتجاه الإسلامي في شعر النقاش دراسة موضوعية فنية ، عيسي محمد ابراهيم ، كلية اللغة العربية بجرجا ، العدد ٢٢، ٢٠١٨ م

٤ ـ الأخلاق في شعر حافظ ابراهيم ، مخطوط في جامعة أم القرى ، ٢٠٠٩م.

٥ ـ الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، د/علي علي صبح ، دار الجبل الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٦ـ الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ، أبو الحسن علي الحسني الندوي ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

٧ ـ الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، عباس الجراري ، مكتبة المعارف ، ، ط الثانية ، الرباط .

٨ـ الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د /عز الدين إسماعيل ،دار الفكر العربي ، ط الثالثة ١٩٧٤م .

٩ـ التناص نظرياً و تطبيقياً ، أحمد الزغبي ، مؤسسة عمون للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ٢٠٠٠ م .

١٠ـ دراسات عن الشعر العماني ، محمد سيد قاسم ناصر بو حجام ، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء ، ٢٠٢١ م .

١١ـ ديوان أحمد يوسف جمع وتحقيق د/ مي أحمد يوسف ، عمان ١٩٩٣م ، ط أولي ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م .

١٢ـ ديوان جراح الفجر في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، ٢٠٠٨م .

١٣ـ ديوان يا إلهي في ضوء نظرية الأدب الإسلامي ، د/ حسن أبو المجد محمد حسن ، حولية كلية اللغة العربية ، بجرجا العدد العاشر .

١٤ـ ديوان دعبل الخزاعي ، ت عبد الكريم الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق ، ط الثانية ١٩٨٣م .

١٥ ـ الصورة الأدبية ، تاريخ ونقد ، د/ علي صبح ، دار إحياء الكتب العربية .

١٦ ـ الصورة الفنية في المفضليات ، (أنماطها و موضوعاتها و مصادرها وسماتها الفنية) مخطوط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ .

١٧ـ ظاهرة التكرار في شعر محمد لافي ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية.

١٨ ـ ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٥م .

١٩ـ فلسطين في شعر يوسف العظم ، إبراهيم محمد الكوفحى ، الجامعة الأردنية مجلد ٢٧،عدد ٢٠٢٢/٢ م

٢٠ـ القاموس المحيط ،للفيروز آبادي مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر ، لبنان ، ١٤٢٦هـ .

٢١ـ قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، الدكتور / محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ١٩٧٩م

٢٢ ـ لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط الثالثة ١٤١٤ هـ .

٢٣ ـ لغة الشعر الحديث ، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية ، دار المعارف ، ط الثانية ١٩٨٣م.

٢٤ ـ مدارس النقد الأدبي الحديث ، دكتور / محمد عبد المنعم خفاجي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط الأولي ، ١٤١٦– ١٩٩٥ م .

٢٥ـ المدائح النبوية في شعر ابن مليك الحموي ، دراسة استقرائية تحليلية ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ، ص ٢٣٦٢ .

٢٦ـ المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها د/ عبدالله الطيب ، مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م .

٢٧ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/أحمد مختار عبدالحميد عمر ،عالم الكتب ،ط أولى ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م .

٢٨ ـ المعجم المفضل في الأدب ، إعداد الدكتور / محمد التونجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط الثانية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٩ ـ معجم المؤلفين المعاصرين من آثارهم المخطوطة و المفقودة و ما طبع فيها أو حقق بعد وفاتهم محمد خير رمضان يوسف ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

٣٠ ـ المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .

٣١ ـ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ، د / عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٥م ، ٢٠٠٤م .

٣٢ ـ النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ ينظر أصول النقد الأدبي ، د/ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط العاشرة .

٣٤ ـ ينظر فن كتابة السيرة بين عبد الحميد جودة السحار ومحمد فخري فايد ، مخطوط في كلية اللغة العربية بأسيوط ، ٢٠١٤م .